

حكم الاستدلال

في

أصول الدين ونواميس الحضارة والعمران

تأليف

الألمي التحرير والباحث المدقق

الشيخ سالم أبي الأقبال أفندي البيقوي

صاحب مجلة الآيات ورئيس تحريرها

طبع على نفقة المؤلف وحقوق الطبع محفوظة له

سنة ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م



بسم الله الرحمن الرحيم

بعد ما أحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على نبيه الأكرم
أقول . ان من المعلوم بالبداهة أن الانسان لا يكون كاملاً في
نظر العقلاء الأولى لا يألون جهداً في تحصيل ما يوطد دعائم
الحضارة وأحراز ما يعود عليهم وعلى الهيئة الاجتماعية بالجدوى
الا اذا كان آخذاً بنفسه نحو تعصيد دينه بالبحث عن حقائقه
والتنقيب عن فضائله: حتى تتجلى الحقائق الدينية التي عليها مدار
الحياتين . فلا يكون بينها وبين الرامي اليها حجاب وتجبلي
الفضائل التي تدور على قطبها رحي السمادتين فلا نخفي على ناظر
متفكر أودعه الله قوة الفكر وملكة الادراك : اذ الاشتغال

بالدين هو الفلسفة الحقّة التي يركن اليها الحكيم والحكمة التي
 يلتقطها العاقل أنى وجدها : لذلك أرانى ولوعا في بيان حقيقة
 ديننا الاقوم دين العلوم والمعارف وما يطلبه منا من معرفة
 العقائد السليمة : وشرح أوامره ونواهيه وغير ذلك مما نطق
 به الرسول عليه الصلاة والسلام الذي جاء بالمدينة الاسلامية
 وفاء بقانونها الاغر دستورہ الاعظم (كتاب الله القرآن) :
 ودونك كتابي هذا (حكمة الاسلام) فقد شرحت لك فيه
 على وجه الاختصار أصول التوحيد الأحق وكشفت حوالك
 الحجب عن أوامر الدين الاسلامي ونواهيه وبينت شيئا من
 مزايا ذلك الدين وفضائل كتابه الاقدس وما انطوى عليه من
 المباحث العمرانية وطرفا من تاريخ وشمائل نبه الاكرم . ونبذة
 تبحث عن اثبات أفضليته صلى الله عليه وسلم على الخلق أجمع
 وغير ذلك مما يجب على الباحث المدقق الوقوف عليه حسبما
 نطق به القرآن الشريف والعقل السليم وصحيح الاحاديث
 غير أنى ما سلكت فيه مسلك غيرى من الباحثين في مثل
 صفات الله تعالى هل هي عين الذات أو غيرها وهل السمع

والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات والكلام غير ما اشتمل
 عليه العلم من معاني الكتب السماوية أو عينه . ونحو ذلك مما لا
 يمكن لمقول البشر أن تصل لكنه الحقيقي كالبحث عن حقيقة
 العرش والكرسى واللوح والقلم . فان هذا مما لا يجوز الخوض
 فيه وما علينا الا الوقوف عند ما اتصل اليه المقول : ولما كانت
 معرفة أصول التوحيد يتوقف تمامها على معرفة الانسان نفسه
 بحثت أولا في حقيقة الانسان مبينا أحواله الموجد منها والقضائل
 المودعة فيه مع ما يلزم للباحث مما يخص النفس والروح
 والقلب والعقل وأحكامه : والاستاذ الاعظم في ذلك وفي سائر
 ما سيتلى عليك (كتاب الله) الذي انتهج بالدين منهجاً لم يقم
 عليه ما سبقه من الكتب المقدسة وسلك به مسلكاً يمكن لاهل
 الزمن الذي أنزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه . ذلك
 الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
 و (السنة) الداعية الى مناهج السعادة بالحكمة والموعظة
 الحسنة و (العقل) الهادي الى سواء السبيل (والاجماع)
 الذي يركن اليه الناقد البصير : وقد وشحته بذكر كثير من

الآيات القرآنية اذ هي البراهين القاطعة والحجج الدامغة
وتفسير بعضها حسبما اقتضاه المقام . والاحاديث النبوية اذ
هي الحكم البالغة والآيات الصادقة : كما حليته بكثير من
الدلة العقلية التي يعترف بها الخصم ويمنح اليها المنكر لاسباب
منكر (حدوث العالم) ومنكر (الحشر والنشر والثواب
والعقاب) ومنكر (حضارة الاسلام) ومدنيته الحقبة وغير
ذلك مما ستراه مفصلاً بحول من الله وقوة : وختمته بخاتمة
دعائي اليها ماشاهده عياني من مخرفي هذه الايام الذين ضلوا
وأضلوا وهم لا يشعرون : ومن في حكمهم من الضالين . فاقراء
بامعان تقر عينك وبطمئن قوادك وتدبره بنظر صحيح تجد
(حكمة) تلعب بقلوب المؤمنين لعب الصبيان بالتمل الطروب
فضلاً عما تودعه في الاقئدة من الهداية وتلقيه في الصدور من
السرور : وما أحسن ما ارتجأت فيها

رصعت (حكمتي) بنان يميني يبراع الاتقان والاحكام
حكمة تودع الهداية في النفس فتخلو غياهب الأوهام
فاصطفوها ترواحقائق دين الله تهدي الحياة للأجسام

وإذا شئت الفضيلة يوما فاطلبوها من (حكمة الاسلام)
 واني أرى عملي هذا أحسن شيء أتقرب به الى الله
 تعالى . لما فيه من البحث وراء حقائق التوحيد وأصول
 الدين . والسعي نحو تربية الشبيبة الاسلامية بما تدعو اليه
 الآداب ويطلبه منا الاخلاص . والأخذ بأبناء ديننا القويم
 الى مناهج السعادة ومراتب الارتقاء : لذلك توفرت لدي
 دواعي الشوق بمثل هذه المواضع الفلسفية الاسلامية الى
 تقييد شواردها . اذ بذلك تشييد دعائم العمران . وحفظ
 فوائدها التي تأخذ بالمتفكر الاديب الى صهوة المجد وقمة
 الفضال . اذ به تصفية القلوب . من حناس الشك وشوائب
 الارتياب وتنقية الافكار من أدران الاوهام : وان كنت
 حديث السن لست من رجال الكتابة ولا من أبناء التحرير
 ولا ينكر على أحد ممن بهمه الرقي في الدين والحضارة في
 الاخلاق أن صرف الوقت وراء البحث في تحقيق مسألة
 من مسائل هذا الدين الذي تركه ظهريا من لا يفقه القول ولا
 يمي نواميس الآداب : أجل في نظر العاقل الحكيم من

الاشتغال بتصرف مثل تدحرج واحر نجم وأكل ونام .
 واعراب ليت لي قنطاراً من الذهب فأحج منه . والبحث
 في أن مثل هذا المثال مما لا طمع فيه أو مافيه عسر . واكتشاف
 متعلق الجار والمجرور في اعراب البسملة واختراع تسعة أوجه
 أو أكثر فيها . والجري وراء تمضيد نحو السعد دون السيد
 والسكاكي دون غيره في مثل مباحث الاستعارة المكنية
 والاستعارة المصروفة . والمنازعة الباردة في موضوع الحقيقة هل
 الأجدر أن تذكر في علم المعاني أو في علم البيان . واتحال
 نكتة ساقطة في تقديم المسند على المسند اليه في بعض المثل
 أو العكس . وعمل الفكر في مدح زيد أو هجوه والتغزل
 بهند والتشبيب بدعد . وارتكاب العنت في انشاء تاريخ أو
 تاريخين أو أكثر في بيت أو بيتين من الشعر . والجهل في جواز
 تزويج الجنى بالانسية والانسى بالجنية . والكد في فرض وجه
 للاحكم في عدة زوجة المسوخ هل تعد عدة طلاق أو عدة
 وفاة . وبذل الطاقة في تحصيل معنى موهوم ما أنزل الله به
 من سلطان في تفسير آية أو حديث . وتقدير مضافات كثيرة

تأبأها اللغة وتأنت منها الاذواق في الجملة الواحدة . وغير
ذلك مما قصر الكثيرون أنفسهم عليه حتى أضاعوا الدين
فصار العوبة في أيدي القاصرين . واني لأعجب وأيم الله ممن
يتركون الدين وراء الظهور ويسعون في تبديد من يمهّد أصوله
ويوطد دعائمه . بنفصاً في التقدم أوجهلاً في العلوم ويتمسكون
بأوهام لا ترجع بالفائدة بل ولا تعود بغير الوبال . لاسيما ممن
يضيعون الوقت هباء ويرون المناقشة في الالفاظ تحقيقاً .
والمشاغبة في القيل والقال تدقيقاً . كيف يتعلقون بأهداب
التراهات ويمحون عن حقائق هذا الدين : أظن أنهم لا يعقلون
ومما يزيد الطين بلة كما في (المثل) أنك اذا قلت لهم هذه أوهام
لا طائل تحتها يجب على المدقق البصير تركها حفظاً على نفسه
من الدمار ووقته من الضياع . والاخذ بنفسه وراء ما يجلسه
على منصة المجد وذرورة السعد : قالوا (هذا آخر الزمان)
وأشاعوا عنك ما تكره وأزاعوا ما تأباه النفوس الحية ووشوا
فيك أنك سيئ العقيدة معتزلي صرف رديء الافكار وهابي
بحت . وأنت تتعرف النحو والصرف والمعاني والبيان

والشعر والنثر والفقه واللغة والتفسير والحديث . لا نكارك
أعمالهم وتعريفك أيام على ما يصنعون . وعدم قصر أفكارك
في هذه العلوم على ما قصرُوا أفكارهم عليه . حتى كأن هذه
الفنون وأمثالها ليست إلا ما يعرفونه من التراهاات وتمسكون
به من الأوهام . أعاذنا الله من قوم لا يشعرون : هذا وأمل
أن يصادف كتابي قبولا من الله سبحانه وإقبالا من شبيبتنا
الحديثة عليه وما ذلك على الله تعالى بعزير كما أن أمل من عر
شأنه أن يحرسه من الأعداء الذين لا يسمعون في غير تثبيط
الهمم العالية من النفوس الالية وحل عرى السؤدد والمجد وهدم
كيان المدينة التي جاء بها الإسلام حسبا سولت لهم أنفسهم
وزينه لهم الشيطان : وقد كثرت ويا للأسف في هذا الزمن
أعداء المعارف والعلوم فبمدت الفضيلة حتى كان بينها وبين
طالبها ما بين السماء والأرض أو أشد بعدا وحجبت فنون
الآداب بحجب حالكة تكاد أن تقضى على النفوس الحيوية
بمصيباتها العامة وطامتها الكبرى مع أن العمران لا تقوم أعمدة
إلا بتلك الفنون اذ بها يعرف الإنسان نفسه فينقاد لديه الحق

ويعرف ربه الذي أوجده من عدم كما قلت
 اذا عرف الانسان أسرار نفسه وأدرك آيات نجات صفاتها
 فلا بد أن يتقاد للدين والهدى كما انقادت للرحمن يوم عرفتها
 ويقف وفوقاً تاماً على مالها وما عليها من الحقوق
 والواجبات وما أحسن قولي فيها
 الا ان في (الآداب) فلسفة بها مقام يجاري أفقه مطلع الشمس
 عرفت بها نفسي فكنت على تقي
 وحسي من (الآداب) معرفة النفس
 ينبئك عن كثرة الاعداء في هذا الزمن المعقوت
 متدياننا الشرقية فقد أصبحت مشحونة بمن لا يرون غير التنديد
 بالعقلاء والتعريض بالفضلاء لذلك ضعفت الافكار واضمحلت
 العزائم فصرنا العوبة في يد الأهواء تقلبنا كيفما تشاء حتى أن
 الصديق الحميم لا يود لصديقه في هذه الايام غير ما يوده
 الخاسر محسوده والمدون عاده والجار لا يحب لجاره الا
 كوارث الزمان وحوادث الايام ولهذا أحذر كل خليل لي
 من مصاحبة أمثال هؤلاء فأقول

طلق الناس صاحباً أو جاراً عدل الدهر في القضا أو جارى
 ان زيدا وان صفا لك يوماً سوف يورى زناذه لك ناراً
 واحذر السلم فالزمان خوون طبعه أن يحارب الأحراراً
 أسر الناس بالخداع الى أن جعل الشر في نفوس الأسارى
 حار فكرى فكيف أصنع في أمـرى ودهرى يحير الأفكارا
 كل هذا الوجود والناس فى الار

ض بما يصنع الزمان حيارى

وبالجملة فأسأل الله تعالى أن يزيل ما فى النفوس حتى
 تتوحد الكلمة وتأتلف القلوب فتجد الفضيلة منا تعزيداً
 والعلوم تأييداً انه خير مسئول وأعظم محبب وانا الفقير اليه
 تعالى (سليم أبو الاقبال اليعقوبى) نبجل الامام الفقيه خاتمة
 المحققين (الشيخ حسن افندى اليعقوبى) أطال الله بقاءه
 * تمهيد الانسان وما يجب عليه وما ينبغى أن يعرفه *

من الواجب على أي انسان وجوباً أولياً معرفة ربه الذى
 أوجده من ظلمة العدم الى نور الوجود وأحسن خلقه ونفع
 فيه من روحه وأفاض عليه من جلائل النعم ما أصبح به انساناً

غاملاً يعمل بجوارحه وجوانحه ووجهه من مواهب الكرم
 ما تعجز عن ادراكه الأفهام وتقف دونه العقول : حتي خصه
 بالكرامة وفضله على كثير من خلقه كما قال سبحانه (ولقد
 كرّمنا نبي آدم وحملناه في البر والبحر ورزقناه من الطيبات
 وفضلناه على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) وجعل ماسواه كاللعونة
 له كما قال تعالى ذكره (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً)
 وتفضيله ليس الا بالعقل الذي يستمد بواسطته المعارف ويميز
 بثوره بين المحاسن والقبائح فيعرف كيف يتحرى الحسن ويتجنب
 القبيح لا بقوة الجسم . اذ الفيل أقوى جسماً منه ولا بطول العمر
 اذ النسر أطول منه عمراً ولا بشدة البطش . اذ الاسد أشد
 منه بطشاً ولا بحسن الملبس . اذ الطاووس أحسن منه لباساً
 ولا بكثرة الذهب والفضة . اذ المعادن أكثر منه ذهباً وفضة
 ولا بعنصره الموجود منه كما زعم ابليس حيث قال (خلقتني
 من نار وخلقته من طين) : وكفاه فضلاً أن أوجده الله تعالى
 صالحاً للدارين . وذلك أنه أوجد ثلاثة أنواع من الأحياء نوعاً
 للدنيا ونوعاً للآخرة ونوعاً لهما معا والاول الحيوانات والثاني

الملائكة الأعلى والثالث الانسان فهو واسطة بين جوهرين وضع
 ورفيع وقد جمع فيه قوى العالمين فجعله كالحيوانات في الغذاء
 والتناسل ونحوهما وكالملائكة في العقل والعلم وأمثالهما. والحكمة
 في ذلك أنه لما رشحه للعبادة وأهله للخلافة في الارض وهياه
 مع ذلك لجأورته في جنته : جمع فيه تينك القوتين اذ لو خلقه
 حيوانا مجردا عن العقل لما صلح للعبادة والمجاورة في الجنة كما
 لو خلقه ملكا معرى عن الحوائج البدنية لم يصلح للخلافة
 وعمارة الارض لما أن الملائكة لا تصلح لذلك كما قال تعالى في
 جوابه لهم (انى أعلم ما لا تعلمون) . ولما جمع فيه هذه القوى
 جعله (كبلد) طيبة جارية الأنهار من هرة الرياض مترعة الجياض
 تعمل فيها عمالها ما تشاء من تعمير البيوت وتشيد القصور .
 وعمال الانسان تلك القوى الاربع التي أودعت فيه وهي الجاذبة
 والماسكة والهاضمة والدافعة ولما كان لكل بلد سكان أختيار
 وأشرار جعل الله سكان الانسان الأختيار القوى التي تتولد
 منها المروؤة والشهامة وسائر الاخلاق الجميلة وسكانه الأشرار
 القوى التي يبدو عنها ما يخل بالآداب ويحط بالعواطف الشريفة

(ومدينة) آمنة توطد أمنها . وتمرز بالعدل سلطانها . وسلطان
الانسان العقل ولما كان لكل سلطان وزير وصاحب يريد
وأصحاب أخبار وخازن وترجمان وكاتب . جعل الله وزير
الانسان القوة المفكرة وعملها وسط الدماغ وصاحب بريده
القوة الخيلة وموطنها مقدم الدماغ وأصحاب أخباره الحواس
الخمس ومسكنها الاعضاء المخصوصة المعلومه وخازنه القوة
الحافظة ومنزلها خلف الدماغ وترجمانه القوة الناطقة وآلتها
اللسان وكاتبه القوة الكتابية ويراعها اليد : وبألجلة فقد أودعت
فيه بسائط الوجود ومركباته وروحانياته وجسمانياته
ومبدعاته ومكنوناته . كيف وقد جعله الله سبحانه نظير العالم
الحيط الأكبر حتى كأنه هو فما تفرق في العالم الا كبر تجده
مجموعا فيه من ملك وملكوت : فنظير شمس ذلك العالم وقره
ما أودع الله فيه من الروح المضيئة التي اذا فارقت الجسد
أصبح كالليل الحالك والعقل المستمد منها . ونظير ماء الملح
والمذنب والزقاق والمر ما فيه من ماء العين والانف والاذن
والفم . ونظير كواكب ما فيه من الحواس الخمس . ونظير

رياحه الأربع الشمال والجنوب والصبأ والدبور مافيه من القوي
 الاربع المتقدمة . ونظير سمائه وأرضه مافيه من العلو والسفل
 ونظير ملائكته البررة مافيه من الطهارة والطاعة . ونظير
 سبأه وشياطينه مافيه من القوة المصبية التي يكون بها
 الافتراس والقهر والغلبة والحقد والحسد والفجور . ونظير
 ظاهره وخافيه مافيه من عالم الحس وعالم الباطن . فظاهره
 ملك وباطنه ملكوت . وبالاختصار فلو قابلت بينه وبين
 نسخة العالم الا كبر لوجدت بينهما كمال المطابقة وليس على الله
 بمستنكر أن يجمع العالم في واحد : واذا قد عرف الانسان
 ما أودعه من الحكم والآيات كان من الواجب عليه أن يعرف
 ربه الذي خلقه ووشحه بتلك الحكم البالغة وهمايتك الايات
 ولا يتسنى له تمام معرفته تعالى الا بمعرفته نفسه ولهذا
 قالت (الفلاسفة) أول ما يلزم الانسان معرفته نفسه . وذلك لما
 أن النفس مجمع الموجودات ومعدن الحقائق الكونية فمن
 عرفها عرف حقائق الموجودات فانها وباقيها سمائها وأرضها
 يرشدك لذلك قوله تعالى (أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق

الله بالسّموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى
وان كثيراً بقاء ربهم لكافرون) وقوله (وفي الأرض آيات
للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون) ومتى عرف هذه
الموجودات المعبر عنها بالعالم عرف أنه حادث كما ستقف عليه
وأنه لا بد له من محدث لا يشبه الحوادث بوجه ما كما سنبينه
قريباً وذلك غاية معرفته الله التي هي أس التوحيد

ومما ينبغي معرفته تلك العناصر التي أوجد الله منها كل
إنسان وهي التراب والماء والهواء والنار . إذ منها كان تكوين
أصله وإيجاد خلقته كما أشار الله تعالى لذلك في مواضع مختلفة
فقال في موضع (خلقه من تراب) إشارة إلى المبدأ الأول
وفي آخر (من طين) إشارة إلى الجمع بين التراب والماء وفي
آخر (من حمإٍ مسنون) إشارة إلى الطين المتغير بالهواء أدنى
تغير وفي آخر (من طين لازب) إشارة إلى الطين المستقر
على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة وفي آخر (من
صلصال من حمإٍ مسنون) إشارة إلى يسه وسماع صلصلة منه
وفي آخر (من صلصال كالفخار) وهو الذي قد أصلح بأثر

من النار فصار كالخزف وبهذه القوة النارية وجد في الانسان
 أثر من الشيطنة كما يشير اليه قوله تعالى (خلق الانسان من
 صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار) ففيه تنبيه
 على أن فيه من الشيطنة قدر ما في الفخار من أثر النار وإن
 الشيطان من المارج الذي لا استقرار له : ولما كونه تعالى من
 هذه العناصر كله بنفع الروح فيه ثم وهبه قوة العقل والفكر
 والنطق قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين
 ثم جعلناه في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه
 مضغه فجعلنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا
 آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وبهذا تعلم أن تكوين
 الانسان بجميع أفراده آدم وأولاده من النطفة . وهي من
 الغذاء والغذاء من الحيوان والحيوان من النبات والنبات من
 سلاله من طين

﴿ تَمَّةُ التَّمْهِيدِ أَوْ كَلِمَةُ فِيمَا انطوى عليه الهيكل الانساني ﴾
 قد علمت فيما تقدم أن الله سبحانه وتعالى جعل الانسان

عالما بنفسه حتى أودع فيه ملكا نظيما . وأقام فيه لتديره ملكا
 عظيما . وأيقظه من سنة الغفلة وأشار إليه أن يفتح عين بصيرته
 ويتأمل في هذا الملك العظيم والملك الكريم الذي جعله له
 تمثالا لذاته وصفاته ليجمله بالمعارف ويكسوه أردية الجمال وحلل
 الكمال . لذلك كان من الفائدة التامة معرفة ما انطوى عليه
 ذلك الهيكل الانساني من النفس والروح والقلب والعقل . اذ
 بذلك نحصل على حقائق علمية ندرك بها فوائد تأخذ بالباحث
 المدقق الى ما نرمي اليه من معرفة الله تعالى التي هي أول
 الواجبات كما قلنا . ولهذا نقول اعلم أولا أن الانسان يطلق تارة
 على الجسد دون النفس كما في قوله تعالى المتقدم (خالق الانسان
 من صاصال كالْفَخَار) وقوله (فليُنْظَرِ الْإِنْسَانَ مِمَّ خُلِقَ خَلَقَ
 مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ) وقوله (أَيْحَسِبِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سَدًى أَلَمْ
 يَكْ نَظْفِقْهُ مِنْ مَّيِّمٍ) ثم كان علة تخلق فسوى (فان هذه
 بلا شك صفة للجسد لا للنفس اذ الروح لا توجد فيه الا
 بعد خلق الانسان الذي هو الجسد . وتارة على النفس دون
 الجسد كما في قوله عز من قائل (ان الانسان خلق هلوعا اذا

مسه الشر جذوعا واذا مسه الخير منوعا) فان هذا صفة
 للنفس لا للجسد اذ الجسد موات والفعالة هي النفس وهي
 الميزة الحية الحاملة لهذه الأخلق وغيرها ويطلق أيضاً على
 مجموعها فنقول في الحى هذا انسان وهو مشتمل على الجسد
 والروح . وبهذه الآيات ونحوها تعلم خطأ من قال انه لا يطلق
 الا على مجموع النفس والجسد : والنفس جوهر مجرد عن
 المادة قائم بنفسه غير متحيز ولا قابل للإشارة الحسية . ولها
 مراتب مختلفة توصف بها بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها فاذا
 سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب الشهوات
 سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى (يا أيها النفس المطمئنة
 ارجعي الى ربك راضية مرضية) واذا لم يتم سكونها ولكن
 صارت مدافعة للشهوات معترضة على النفس الشهوانية سميت
 اللوامة للومها صاحبها عند تقصيره في عبادة الله قال تعالى
 (ولا أقسم بالنفس اللوامة) واذا تركت الاعتراض وانقادت
 لأوامر الشيطان سميت الأمارة بالسوء قال تعالى (ان النفس
 لأماراة بالسوء) وهذه هي المذمومة المشار اليها في قوله صلى

الله عليه وسلم . أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك
 والروح هي والنفس اسمان مترادفان لمعنى واحد ولذلك قال
 الغزالي ان الروح ليس بجسم يحل في البدن حلول الماء في
 الاناء ولا هو عرض يحل بالقلب والدماع حلول السواد في
 الأسود والعلم في العالم بل هو جوهر وليس بعرض لانه
 يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم
 عرض وقيام عرض بمرض غير معقول وليس بجسم لان
 الجسم قابل للقسمه والروح لا ينقسم لانه لو انقسم لجاز أن
 يقوم بجزء منه علم بشيء وبجزء آخر جهل بذلك الشيء بعينه
 فيكون في حالة واحدة عالما بشيء جاهلا به فيتناقض والعلم
 والجهل بشيء واحد في حق شخص واحد محال الخ ما قال
 ولا يقال ان هذا خوض وافاضة في أمر الروح والخوض
 فيه بدعة في الدين لان الله لم يبين حقيقتها في الكتاب . لما
 لا يخفى على ذي بصيرة من قوله تعالى (قل الروح من أمر
 ربي) فان فيها الجواب ببيانها لان السؤال عنها من النبي عليه
 الصلاة والسلام انما كان عن صورتها وقدمها وحدوثها وعليه

فمضى قوله من أمر ربى أنها من ابتداعاته الكائنة بتكوينه
من غير سبق عادة وتولد من أصل . أو أنها وجدت بأمره
وحدثت بتكوينه وليست عرضاً يحل في الأجسام ولا جسماً
لطيفاً ينبت مماساً للأبدان ولا متداخلاً فيها . فبين أنها من
(عالم الأمر) لا من (عالم الخلق) . والأمر التدبير في الأرواح
الباطنة وعالمه الموجودات الخارجة عن الحس والجملة والمكان
والخلق التقدير في الأشباح الظاهرة وعالمه الأجسام
وعوارضها قال الله تعالى (ألا له الخلق والأمر) وهذا دليل
على جمل الخلق غير الأمر . وبما قررناه تعلم أن للعقول سبيلاً
إلى معرفتها ولو بوجه ما والا كان من العبث أمر الله تعالى
بالتفكر والتبصر في أمر النفس للاستدلال عليه والتوصل
إليه في مثل قوله (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وقوله (أولم
يتفكروا في أنفسهم) تعالى الله وأمره عن ذلك علواً كبيراً
وأما أمساك جمهور من السلف عن الأفاضلة في بيانها فله
لاشغالهم بما هو أهم في الدين : والقلب يطلق لمعنيين أحدهما
اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر

وهو لم محسوس وهذا ليس هو المراد في القرآن والحديث
والثاني لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بالقلب الجسماني
المذكور وتلك اللطيفة هي المدركة للمعارف وهو في الحقيقة
الإنسان المطالب والمخاطب والمثاب والمغاب وهذا هو المراد
بمثل قوله تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقوله
(لهم قلوب لا يفقهون بها) وقوله في الحديث القدسي
(ما وسعني الا قلب عبدي المؤمن) : والعقل يطلق على
القوة التي بها الادراك وهو بهذا الاطلاق من صفات
المكلف وسبب لحصول علمه لأنه يمكن وجود النفس مع
عدم القوة المذكورة كما لا يخفى . وعلى الجوهر المجرد الذي لم
يتعلق بالجسم تعلق تصرف وتدير وهو المشار اليه بقوله عليه
السلام (أول ما خلق الله العقل) الحديث على فرض صحته
وحال نفوسنا بالقياس اليه كحال أبصارنا بالقياس الى الشمس
فكما أن بافاضة نور الشمس تدرك المبصرات كذلك بافاضة
نوره تدرك المعقولات : وفي هذا القدر كفاية اذ التعمق
بأكثر من هذا يوجب القال والقليل . على أننا مهما بحثنا في هذا

بأـالينا القاصرة فلن نقف منها على ما لا اعتراض فيه ولا
 انتقاد : واعلم أن للعقل أحكاماً ثلاثة تتوقف عليها مباحث (فن
 التوحيد) وهى الوجوب والاستحالة والجواز . لذلك تحتم علينا
 أن نبين معانيها فنقول الوجوب العقلى هو عدم قبول الانتفاء
 والذى لا يقبل ذلك يقال له الواجب وهو قسمان نظري
 يحتاج الى برهان كوجود الخالق سبحانه وبديهي لا يحتاج الى
 ذلك ككون الواحد نصف الاثنين . والاستحالة عدم قبول
 الثبوت والذى لا يقبل ذلك يقال له المستحيل وهو قسمان
 أيضاً نظري كوجود شريك لله تعالى وبديهي ككون الاربعة
 نصف العشرة ويسمى المستحيل محالاً أيضاً . والجواز قبول
 الثبوت والانتفاء والذى يقبلها يقال له الجائز وهو قسمان كذلك
 نظري كاتقلاب العصا ثعباناً بقدرته تعالى وبديهي كسفر زيد
 ويسمى البديهي عادياً أى يحصل وقوعه في العادة ولا تستغربه
 العقول . والنظري غير عادى بمعنى أنه يندر وقوعه في العادة
 أو أنه لم يقع قط ولذلك تستغربه العقول في بادى الأمر

ولكن اذا بحث عنه بالدليل يوجد أنه جائز الوقوع وليس
مستحيل الوجود



﴿ التوحيد ومدونوه والتقليد ﴾

التوحيد علم يبحث فيه الباحثون عن اثبات العقائد
الدينية بما يفيد اليقين لاسيما عن وجود الحق سبحانه وما يجب
أن يوصف به من صفات الكمال وما يجوز في حقه وما
يُمْتَحِيل عليه . وعن الرسل لاثبات رسالتهم وما يجب أن
يثبت لهم من الصفات وما يجوز أن ينسب اليهم وما يستحيل
أن يلحق بهم . وأصل معناه اعتقاد الوحدة لله تعالى
وتزويجه عن الند والشريك . وقد كان في زمن الصحابة رضوان
الله عليهم عبارة عن أن يرى الموحّد جميع الأمور ظاهرها
وباطنها من الله تعالى من دون أن يلتفت الى سبب من
الأسباب ولا واسطة من الوسائط لذلك كانت الصحابة
لا ترى مثل الخير والشر والقضاء والقدر الا من الله مبدؤه
واليه منتهاه وامامهم الوحيد في ذلك كتاب الله (القرآن) اذ

هو المرشد الى طرق الهداية وسبل النجاة كيف وقد تكفل
 بالبراهين القاطعة على وجوده تعالى واتصافه بكل ما يجدر
 بعظمته وجبروته من صفات الكمال . كما تكفل ببيان
 لوازم الهيئة الاجتماعية وشرح مقتضيات المدنية وما يلزم
 لبني الانسان في حالتى المعاشى والمعاد . ولهذا كانوا غير
 معتدين بما سواه . ولا جانحين الى ما عداه . حيث كانوا على
 منهج الفطرة لم تحتاج خواطرم العقائد الفاسدة ولم تشب
 ضمايرهم شوائب الشك والارتياب . فلم يحتاجوا الى صناعة
 الكلام ومعرفة سبل المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات
 الخصوم لما فيها من اثاره الشهات . وتأليف الامور التي جعلت
 بعمدهم من المباحث والمهمات . ولا أجل هذا لم يقيم لديهم داع
 لتدوين هذا العلم كما قام عند المتأخرين الذين كثر فيما بينهم
 القال والقليل حتى اضطربت الأفكار فى المناقضات بين بعضهم
 بعضاً وتفاوتت الأفهام . فساءت الأوهام . وتباينت المراتب
 فتولدت المشاغب . ولولا مثل هذا الاضطراب ما تفرقت
 هذه الامة على مذاهب شتى وقد نص على تفرقها النبي صلى

الله عليه وسلم في قوله . ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة كلها
 في النار الا واحدة قيل ومن هم قال الذين هم على ما أنا عليه
 وأصحابي . هذا . والتوحيد الذي جاء به الاسلام ليس الا
 ما جاء به الرسول لاستئصال شأفة الضلال من النفوس
 بإزالة شائبة الاعتقاد بأى أثر من آثار المادة ونحوها وصرف
 النفس عن التوجه الى تلك الآثار بالحس لتوجه الى واجب
 الوجود بالضمير والاكتفا باستحضار هبة جلاله في القلوب
 وتمكين الاعتقاد بأن ما يرى من الآثار بالعيان انما يقوم
 بالموثر المستحضر في الضمير الخارج عن العيان والحس . اذ
 بدون ذلك لا يقوم للتوحيد أثر في النفوس ينجي من مزلّة
 القدم ويبعد عن الضلال المفضي الى الشرك الذي يقع في
 الهلاك : وأشهر من دون كتب هذا العلم وأقام البراهين على
 رد ما قاله المخالفون الشيخ أبو منصور الماتريدي والشيخ أبو
 الحسن الأشعري لذلك شاع أنهما الواضعان له . وتفترض
 معرفة سائر العقائد الدينية على كل مكلف بأدائها ولو الاجالية
 وأما التفصيلية فهي فرض كفاية والصحيح أن من قلده غيره

فيها بأن يعتقدها اعتقاداً جازماً لا يقبل الشك يكون صحيح
 الايمان والاسلام ولكنه يأثم بترك النظر في الأدلة متى
 توفرت لديه القدرة على ذلك والا فلا :



✽ الايمان وزيادته ونقصانه والاسلام والشهادتان ✽

ان الايمان في لسان أهل اللغة مطلق التصديق . وأما
 في لسان أهل الشرع فقد اختلفت أرباب المذاهب في حقيقة
 هل هو الاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
 والقدر خيره وشره فقط أم الاعتقاد والعمل معاً . واختلفهم
 بحسب اختلاف نظرهم . فمن قال انه الاعتقاد بما ذكر فقط
 فقد نظر الى اشتقاق اللفظ ولان الله تعالى فصل بينه وبين
 الاعمال في القرآن في مثل قوله عز شأنه (ان الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات) حيث عطف الثاني على الاول . والمعطف
 يقتضي المغايرة وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه .
 ولأن الرسول عليه السلام فرق بينهما في خبر جبريل حينما
 سأله عن الاسلام والايمان ففسر الاول بالاعمال والثاني

بالاعتقاد : والحق أن لا دليل في هذا لان تفسيره عليه السلام
 ذلك ليس لأن الاعمال خارجة عن الايمان أو أن التصديق
 بالقلب ليس من الاسلام بل هو تفصيل لجملة هي كلها شيء
 واحد وجماعها الدين ولذلك قال عليه السلام . ذاك جبريل
 أتاكم ليطلعكم دينكم . والتصديق والعمل يتناولهما اسم الايمان
 والاسلام جميعاً يدل عليه قوله تعالى (ان الدين عند الله
 الاسلام) وقوله (ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقوله (ومن
 يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) فقد أخبر سبحانه أن
 الدين الذي رضىه ويقبله من عباده هو الاسلام ولا يكون
 الدين في محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق الى العمل
 ومن قال انه الاعتقاد والعمل معاً فقد نظر الى صريح مثل قوله
 تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا
 تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين
 يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا)
 وقوله صلى الله عليه وسلم لو فد عبد القيس أمركم بأربع
 الايمان بالله وهل تدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا إله الا

الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا
 من المغنم الخمس . كما في الصحيحين وقوله عليه السلام الإيمان
 بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة وإن أفضلها قول لا اله
 إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من
 الإيمان . كما فيها أيضاً ولفظه لمسلم قال الخطابي في هذا الحديث
 بيان أن الإيمان الشرعي اسم بمعنى ذى شعب وأجزاء له
 أدنى وأعلى فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلمها والحقيقة
 تقتضى جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها
 شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها والحقيقة تقتضى جميع
 أجزائها وتستوفيها ويدل عليه قوله عليه السلام الحياء شعبة من
 الإيمان وفيه إثبات التفاضل في الإيمان وتباين المؤمنين في
 درجاته انتهى . وقد أنكر كثير من السلف الصالح على من
 أخرج الأعمال عنه انكاراً شديداً . وممن أنكره على قائله
 سعيد بن حبيب وميمون بن مهران وقتادة والنخعي والزهرى
 ويحيى بن أبى كثير وغيرهم وقال الثورى هو رأي محمد
 أدر كنا الناس على غيره وقال الأوزاعي كان من مضي من

السلف لا يعرفون الايمان الا العمل . وكتب عمر بن عبد
العزيز الى اهل الامصار أما بعد فان للايمان فرائض وشرائع
وسنن فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل
الايمان . كما في صحيح البخاري : ولنا في بيان القول الاحق
من هذين القولين كلام نستوفيه في غير هذا الكتاب : وأما
زيادته ونقصانه فقد قال بعدمهما من نظر الى أنه التصديق
فقط . لان التصديق الذي بلغ حد الازعان لا يتصور فيه
زيادة ولا نقصان حتى أن من وجدت لديه حقيقته فسواء
أتى بالطاعات أو بضدها فتصديقه باق لا يتغير : وقال بهما
من نظر الى كون الاعمال داخلة في حقيقته والاعمال يتصور
كمالها تارة ونقصها أخرى : والاسلام في اللغة مطلق
الاستسلام والانقياد وفي الشرع استسلام العبد لله وخضوعه
وانقياده ظاهراً وباطناً لما دعا اليه النبي وعلم بحيثه به يقيناً
وذلك يكون بالعمل . وهو الدين كما سعى الله ذلك الاسلام
ديناً في كتابه العزيز . وبهذا تعلم ان كلا من الايمان والاسلام
المنجيين لا ينفك عن الآخر فكل مؤمن مسلم وكل مسلم

مؤمن : ثم ان النطق بالشهادتين وهما أشهد أن لا اله الا الله
وأشهد ان محمداً رسول الله أمر لا بد منه لاجراء الأحكام
الدنيوية عليه نحو المناكحة والدفن في مقابر المسلمين فان لم
ينطق بها المؤمن لمانع منه فهو مؤمن عند الله تعالى ناج من
عذابه يوم القيامة : أما اذا كان عدم النطق جحوداً وعناداً فهو
كافر ولا عبرة بتصديقه اذ قد جعل الشارع مثل هذا الامتناع
منافياً للدين وحكم بكفر صاحبه

✽ الايمان بالله والدليل على اتصافه بكل كمال ✽

الايمان به تعالى أن يصدق العبد بما وصف الله به نفسه
في كتابه الأقدس وما وصفه به رسوله الأمين من غير
تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل اذ (ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير) : وهذا ما عليه أهل السنة
والجماعة الذين سلكوا سواء السبيل حتى كانوا وسطاً في فرق
الامة : وأن يعتد اجمالاً بوجوب كل صفة كمالية له تعالى
تليق بعظمته وجبروته واستحالة كل نقص عليه وجواز فعل

كل ممكن أو تركه في حقه . سبحانه . لكن يجب عليه أن
يمنتقد تفصيلا بوجوب ثلاث عشر صفة كمالية له تعالى عليها
مدار الألوهية وباستحالة اضدادها عليه : وكال الاعتقاد
بالحجج المفيدة لليقين . وتلك الصفات منها ما لا يتعلق بشئ
من الاشياء أى لا يكون بها تخصيص شئ ولا إيجاد ولا
كشفه ولا الدلالة عليه . وهي الوجود والقدم والبقاء والمخافة
للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والحياة . ومنها ما يتعلق
بالاشياء . وهي الارادة والقدرة والسمع والبصر والعلم والكلام
أما الارادة والقدرة فيتعلقان بالجائز فقط لا بالواجب ولا
بالمستحيل غير أن الارادة تتعلق به تعلق تخصيص فيخصص
الله بها في الازل الجائز ببعض مايجوز عليه . مثلا يخصص في
الازل فلانا بأنه يوجد أم لا وبأنه اذا وجد يكون على صفة
كذا في زمن كذا في مكان كذا في جهة كذا . وبهذا التخصيص
يجب أن يكون هذا الجائز على ماخصصه الله به بإرادته
ويستحيل أن يكون بخلاف ذلك والا كان الله كارها مقهوراً
يحصل في ملكه ما لا يريد تعالى الله عن ذلك . والقدرة تتعلق

به تعلق تأثير بإيجاده أو اعدامه على طبق ما تعلق به الإرادة في الازل مثلاً اذا تعلق ارادته في الازل بإيجاد فلان على صفة مخصوصة في زمان ومكان مخصوصين فاذا جاء الزمان الذي تعلق ارادته بإيجاده فيه تعلق قدرته بإيجاده في وجوده فيه بقدرته على الصفة التي خصصه بها في المكان الذي خصصته الإرادة بدون تخلف والا لزم تخلف ارادته تعالى وهو محال . وعدم تعلق كل من الإرادة والقدرة لا إيجاداً ولا اعداماً بالواجبات كذاته تعالى وصفاته وملازمة الجرم للحيز . ولا بالمستحيلات كالشريك له تعالى والجمع بين النقيضين فلان الواجب حاصل حتماً ولا يمكن خروجه عن الوجود الى العدم . فلا يتعلقان به لا إيجاداً لان ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا اعداماً لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود . ولان المستحيل معدوم حتماً ولا يقبل الوجود فلا يتعلقان به لا اعداماً لانه تحصيل حاصل ولا إيجاداً لاستحالة وجوده وخروجه عن العدم : وأما السمع والبصر فيتعلقان تعلق انكشاف بجميع الموجودات واجبات أو جائزات لا بالمعدومات

مستحيلات أو جائزات فيرى سبحانه ذاته الكريمة ويسمع
 كلامه كما أنه يرى كل مرئ ومسموع جائز في مخلوقاته : وأما
 العلم والكلام فيتعلقان بكل من الواجبات والمستحيلات
 والجائزات الموجودات منها والمعدومات . أما علمه تعالى فيتعلق
 بها تعلق انكشاف فيعلم بعلمه الواجب وأنه واجب والمستحيل
 وأنه مستحيل والجائز وأنه جائز ولا يميز عن علمه شيء في
 الأرض ولا في السماء ولا نهاية لمعلوماته . وأما كلامه فيتعلق بها
 تعلق دلالة فيدل ذلك الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت على
 كل واجب ومستحيل وجائز موجود أو معدوم بكل ما هو عليه
 ويفهم سبحانه بكلامه كل واحد منها لمن أراد فهمه من عباده
 كما نكته ورسله . وأضداد هذه الصفات أجمع العدم والحدوث
 والفناء والمثالة للحوادث وقيامه بغيره وأن يكون متعددًا في
 ذاته وصفاته وأفعاله والموت والكرامة والعجز والجهل والصمم
 والعمى والبكم وستعلم استحالة كل من هذه الأضداد في الفصل
 الآتي : هذا والدليل على وجوب اتصافه بكل كمال واستحالة
 النقصان عليه نظام هذا الوجود البديع إلا نموذج الذي تحاربه

الافكار وتقف دونه العقول فقد أبدعه الخالق سبحانه على
 أحسن شكل وأودعه من الاتقان كماله ومن الاحكام غاية
 ومن كانت مصنوعاته متقنة محكمة فمن الواجب اتصافه بساتر
 صفات الكمال التي لا يجاريه بها أحد ولا يباريه بوصف منها
 انسان . اذ لو اتصف بالنقص لاتصف بالمعجز والمعجز بالبداهة
 مخجل بالنظام وانما في جميع ما تصوره لا نجد الشيء يوجد مثله
 فضلا عن أن يوجد الناقص كاملا أو أن يوجد الكامل أكمل
 منه . ودونك الانسان الذي هو أعلم الحيوانات وأقدرها صنعا
 فانه مهما كان بديع الصنيع والابتداع فلا يقتدر على إيجاد
 نبات فضلا عن أن يصنع مثله أو أكمل منه من حيوان أو
 انسان . ولا يقال إنا كثيرا ما نشاهد من الناس أشياء كثيرة
 تجري على أيديهم من مثل المخترعات وظهور النباتات والحيوانات
 لما أن ذلك بمباشرة الامور التي جعلها الله أسبابا عادية : اذا
 فيجب أن يكون الله تعالى كاملا في ذاته وصفاته وأفعاله والا
 كان دون مصنوعاته وذلك خلاف ما تصدق به العقول : ثم
 ان من صفاته تعالى الكمالية الصفات الثلاث عشرة المتقدمة لو

يكن الله متصفاً بها لا تصف بأضدادها وذلك عليه محال



﴿جولة حسنة في أدلة الثلاث عشرة صفة﴾

ليكن في علمك أن هذا العالم بجميع ما يشتمل عليه
 حادث كما ستقف عليه بعد هذا الفصل وكل حادث لا بد له
 من موجد يخرج به من العدم الى الوجود اذ لو وجد بدون
 ذلك للزم الترجيح بلا مرجع وهو من المستحيلات البديهية
 ولا بد لهذا الموجد أن يكون وراء جملة الممكنات . اذ لا يمكن
 أن يكون عينها لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه . ولا جزأها
 لاستلزامه أن يكون الشيء سبباً لنفسه ولما سبقه ان لم يكن
 الأول ولنفسه فقط ان فرض أول وهو ظاهر البطلان :
 فثبت أن للممكنات الموجدية واجب الوجود . ومن المحتم
 أن يكون ذلك الواجب قديماً أزلياً اذ لو لم يكن كذلك لكان
 حادثاً والحادث ما سبق وجوده بعدم فيكون وجوده مسبوقاً
 بعدم وكل ما سبق بذلك يحتاج الى علة تعطيه الوجود واللازم
 رجحان المرجوح بلا سبب وهو محال . فلو لم يكن الواجب

قديماً لكان محتاجاً في وجوده الى موجد غيره وموجده الى
 آخر وهكذا وهو باطل . وقدمه تعالى لذاته لا لأمر آخر
 اقتضاه : وان يكون باقياً والا لزم سلب ما هو لذاته عنها وذلك
 يرجع الى سلب الشئ عن نفسه وهو بالبداهة محال . وأن
 يكون مخالفاً للحوادث اذ لو شابهها في شئ من خواصها
 كالجوهرية والجسمية والعرضية والاتصال والانفصال لكان
 مثلها فيجوز عليه ما يجوز عليها من الحدوث والفناء وقد
 علمت وجوب قدمه وبقائه . وأن يكون قائماً بنفسه والا كان
 جوهرأ أو جسمأ يحتاج الى مكان يحويه أو عرضأ يفتقر الى
 محل يحل فيه فيكون مماثلاً للحوادث والحادث محتاج الى
 مخصص يخصصه وموجد يوجده وقد قام الدليل على وجوب
 المخالفة : ولا يقال قد ورد في نصوص الشريعة نسبة كثير من
 الاشياء له تعالى تستلزم مماثلته للحوادث نحو قوله تعالى
 (الرحمن على العرش استوى) وقوله (ويبقى وجه ربك) وقوله
 (يد الله فوق أيديهم) وقوله (وجاء ربك) وقول النبي عليه
 السلام ينزل ربكم الى سماء الدنيا وقوله ان الجبار يضع قدمه

في النار الى غير ذلك من النصوص . لما نقول ان لهذه
 النصوص معاني غير ما يتبادر منها وهي صحيحة موافقة للدلالة
 العقلية والنقلية للدلالة على وجوب المخالفة للحوادث فاستواءه
 تعالى صفة من صفاته القديمة اللائقة به ليس كاستواء الحادث
 المستلزم للجسمية والجهة ويحتمل أن المراد منه الاستيلاء
 والقهر . وكذا المجيء والنزول صفتان من الصفات القديمة
 لا كمجيء ونزول الحادث المستلزمين للانتقال من حيز الى
 آخر ويحتمل أن المراد منها الاقبال على عباده ومن قوله
 وجاء ربك أمره وساططانه وقد ورد الكل في اللغة العربية .
 ونقول ان له تعالى وجهاً وبدأً ويمينا وقدما تليق به ليست
 كأعضائنا المستلزمة للتجزؤ والمقدار ويحتمل أن المراد بالوجه
 الذات وبالبدا واليمين والقدم القدرة ولكل شواهد نطق
 بها لغتنا العربية التي جاء بها القرآن والحديث وهكذا يجري
 التأويل في كل ماورد من التشابهات والأسلم تفويض معرفة
 حقيقتها المرادة منها الى الله تعالى ولا حاجة للتأويل الا لدفع
 مذهب متبدع أو رفع وساوس الشيطان . وان يكون

واحدًا ذاتًا ووصفًا ووجودًا وفلا أما الوحدة في الذات فلا نه
لو كان مركبا في ذاته لتقدم وجود كل جزء من أجزائه
على وجود جملة التي هي ذاته وكل جزء من أجزائه غير ذاته
بالضرورة فيكون وجود جملة محتاجا الى وجود غيره وذلك
محال . وأما الوحدة في الصفة أى أنه لا يساويه في صفاته
موجود فلأن الصفة تابعة لمرتبة الوجود وليس في الموجودات
ما يساوى الحق سبحانه في مرتبة وجوده فلا يساويه فيما يتبع
الوجود من الصفات . وأما الوحدة في الوجود وفي الفعل
ونعني بها التفرد بوجوب الوجود وما يتبعه في إيجاد الممكنات
فهي ثابتة لا محالة لأنه لو تعدد واجب الوجود لكان لكل
واحد تعين يخالف تعين الآخر بالضرورة والافلامعنى للتعدد
فيختلف العلم والارادة حسب اختلاف الذوات الواجبة اذ
يكون لكل واحدة منها علم وارادة يباينان علم الأخرى
وارادتها . ومتى كان التخالف في العلوم والارادات . فلا بد
من التخالف في الافعال فيفسد نظام الكون بل يستحيل
وجود ممكن من الممكنات لأن كل واحد منها لا بد أن يتعلق

به الایجاد علی حسب العلوم والارادات المختلفة فیلزم أن یکون
للممكن الواحد وجودات متعددة وذلك بالبداهة محال : قال
الله تعالى (ولو كان فیها آلهة الا الله لفسدتا) لكن الفساد
ممتنع لما نشاهده من تمام النظام فثبتت الوحدة فی ذاته تعالى
وصفاته لا شریک له فی وجوده ولا فی أفعاله : وأن یکون
حیا اذ المعدوم لا یصلح أن یکون موجد شیء ما فلا یوصف
بالصفات القدیمة : وأن یکون عالما والا لکان فی الموجودات
الممكنة ما هو أكمل من واجب الوجود اذ العلم کمال فی الموجودات
الممكنة ومن الممكنات من هو عالم . ووجود أكمل منه محال .
ونظام هذه العوالم من الاحکام والاتقان ووضع کل شیء
فی موضعه وقرن کل ممکن بما یفتقر الیه فی الوجود والبقاء
أعظم دلیل علی ثبوت العلم له تعالى : وأن تكون له الارادة
التامة اذ الموجد لهذه الممكنات العالم بما لها وما علیها لا بد أن
یکون مریدا لانه انما یفعل باختياره علی حسب علمه : وأن
تکون له القدرة التي بها الایجاد والاعدام اذ المبدع لهذه
الکائنات علی مقتضى علمه وارداته لا بد أن یکون قادرا لأن

فعل العالم المرید فیما علمه وأرادہ انما یکون بقدرۃ لہ علی الفعل
 وھذہ الصفات الثلاث الاخیرۃ تستلزم بالبداہۃ ثبوت
 الاختیار لہ تعالیٰ اذ لا معنی لہ الا اصدار الأثر بالقدرۃ علی
 مقتضی العلم وحکم الارادۃ فہو الفاعل المختار : وأن یکون
 سیمعاً وبصیراً ومتکلیماً اذ الصمم والعمی والبکم نقص . والنقص
 علی من أوجد العوالم العلویۃ والسفلیۃ ووجب السمع والبصر
 والکلام لبعض أنواعہا وجعلہا من اکبرائنم علیہم محال . غیر
 أن سمعہ تعالیٰ وبصرہ لیس بآلۃ ولا جارحۃ ولا حدقۃ ولا
 باصرۃ وکلامہ لیس بحرف ولا بصوت . ویسوغ لنا أن نکتفی
 بکل من ھذہ الصفات الاخیرۃ بالدلیل السمی من نحو قوله
 تعالیٰ (وهو السميع البصير) وقوله (وکلم الله موسى تکلیماً)
 وبذلك نخرج من ربقة التقليد

✽ کلمۃ موجزۃ فی الدلیل علی حدوث العالم ✽

ان قولنا فیما تقدم العالم بجميع مايشتمل علیہ حادث
 محتاج الى دليل تطمئن به النفس ويرتاح لہ الضمیر : وقد

أقامت علماء الاسلام على ذلك أدلة كثيرة تجلو عن القلوب
 الغشاوة واني أذكر لك دليلين يطيب بهما قلبك فأقول: الدليل
 الأول . ان من المعلوم أن كل شخص في العالم وكل عرض
 في شخص فهو متناه ذو أول . نشاهد ذلك بالحس والعيان
 اذ تنهى الشخص ظاهر بمساحته بأول جرمة وآخره . وأيضا
 بزمان وجوده وتنهى العرض المحمول بين غير خفي بتنهي
 الشخص الحامل له وتنهي الزمان موجود باستئناف ما يأتي
 منه بـمد الماضي وفناء كل وقت بعد وجوده واستئناف آخر
 يأتي بـمده : اذ كل زمان قهايته الآن وهو حد الزمانين فهو
 نهاية الماضي وما بـمده ابتداء للمستقبل وهكذا يفنى زمان
 ويبتدىء آخر وكل جملة من جل الزمان فهي مركبة من أزمنة
 متناهية ذات أوائل وكل مركب من أجزاء متناهية لها أول
 فليس هو شيئا غير أجزائه . اذ من المعلوم بالضرورة والعقل
 والحس أن الكل ليس شيئا غير الأجزاء التي ينحل اليها
 وأجزائه متناهية ذات أوائل كما بينا : فالجمل كلها بلا شك
 ثابت لها النهاى والاولية . والعالم كله انما هو أشخاصه ومكانه

وأزمانها ومحمولاتها لا غير وقد علمت ثبوت الاولية لجميعها :
 اذا قال العالم أجمع متناه ذو أول وكل ما كان كذلك فيسدها
 للعقل حادث غير قديم : الدليل الثاني ان هذا العالم أعيان تحيز
 بنفسها واعراض تتبع في التحيز غيرها والكل حادث . أما
 الاعراض فحدث بعضها بالمشاهدة كالحركة بعد السكون
 والسواد بعد البياض والضوء بعد الظلمة . وبعضها بالدليل
 وهو طرق العدم كما في تضداد ذلك فان العدم يناقى القدم .
 وأما الأعيان فلائنها لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان
 لأنهما من الأعراض والعرض غير باق وكل ما لا يخلو عن
 الحوادث فهو حادث اذ لو كان مالا يخلو عنها قديما لكانت
 الحوادث كذلك وهو بديهي البطلان : فثبت المدعى وانتفى
 ما عدها : وقد تمسك القائلون بقديم العالم بتراعات واهية . منها
 قولهم ان كان للأجسام محدث فلا يخلو أمره من أن يكون
 مثلها من جميع الوجوه أو بعضها أو خلافا من جميع الوجوه
 أو بعضها كذلك . فان كان من الجميع لزم أن يكون محدثا
 مثلها وهكذا في محدثه أيضا . وان كان مثلها في البعض

فكذلك يلزم له الحدوث اذ الحدوث اللازم للبعض كلزومه
للكل ولا فرق وان كان خلافا من الجميع فمحال أن يفعلها
لان هذا هو حقيقة الضد والمناقض اذ لا سبيل الى أن يفعل
الشيء خلافا من جميع الوجوه كما لا تفعل النار التبريد : ولا
يخفى عليك بطلان ذلك اذ الله لا يوصف بأنه ضد خلقه لان
الضد ما حمل حمل التضاد والتضاد اقتسام الشيء طرفي البعد
تحت جنس واحد فاذا وقع أحد الضدين ارتفع الآخر وهذا
الوصف بعيد عن الله تعالى وانما التضاد مثل البياض والسواد
الذين يجمعهما اللون . والفضيلة والذيلة اللتين يجمعهما
الخلق ولا يكون الضدان الا عرضين تحت جنس واحد
وكل هذا منفي عن الخالق سبحانه . فبطل بالضرورة كون
الله تعالى ضد خلقه . ثم ان قولهم لو كان خلافا خلقه من
جميع الوجوه المكان ضد آلهم ظاهر الفساد . اذ ليس كل
خلاف ضدآ فالجوهر خلاف العرض من كل وجه حاشا
الحدوث فقط وليس ضدآ له : وبالجمله فقد ظهر لك جلليا
حدوث هذا العالم بجميع ما يشتمل عليه بما ذكرنا من الدليلين

الذين بها يتأيد الحق على الباطل ويظهر الغيث من السمين

﴿ فعل الممكن أو تركه ورؤية الله تعالى ﴾

يجوز عليه تعالى فعل كل ممكن أو تركه معها كان الممكن
دقيق الصنعة لما علمت فيما تقدم من تمام قدرته وكمال علمه
وكل جازئ قابل للأوجود والمعدم فيكون سبحانه قادراً على
إيجاده وإعدامه . ومما يجوز فعله أو تركه خلق الخير والشر
لأنه تعالى فاعل مختار . والشر يكون شراً بالنسبة إلينا ولذلك
نؤاخذ به وبمخالفة النهي عنه لا بالنسبة إليه تعالى فلا يقال إن
فعل كذا شر وفعل كذا خير بالنسبة إليه إذ لا ينتفع سبحانه
بشيء ولا يتضرر من شيء . وبهذا يبطل ما ادعاه بعض
المبتدعة : ومنه فعل غير الصالح والأصلح في حق عباده ولا
يجب عليه فعل الصالح والأصلح في حقهم والا لما خلق
الكافر الفقير المعذب في دنياه بالفقر وفي آخره بالنار . وبه
يبطل أيضاً ما لبعض المبتدعة : ومنه إرسال الرسل لإباده
وليس ذلك واجبا عليه ولا مستحيلاً بل هو فضل منه ورحمة

ومنه أن ينظر بالابصار عيانا كما تنظر الشمس التي ليس دونها
سحاب غير أن رؤيته تعالى لم تقع في الدنيا غير الرسول عليه
السلام والدليل على جوازها عقلا . ان العقل اذا خلى
ونفسه لم يحكم بامتناعها بل يحكم بجوازها ما لم يقم برهان
على الامتناع مع أن الاصل عدمه وهذا القدر ضروري
في امكانها . ومن ادعى امتناعها فليأت بالبرهان وقد استدل
على الامكان بعض المحققين بما محصله . انا جازمون برؤية
الأعيان والأعراض ولا بد للرؤية التي هي حكم مشترك
من علة مشتركة وهي اما الوجود أو الحدوث أو الامكان
والحدوث عبارة عن الوجود بعد العدم والامكان عبارة عن
عدم ضرورة الوجود والعدم ولا مدخل للعدم في العملية فلا
يكون للحدوث والامكان مدخل فيها فتعين الوجود وهو
مشارك بين الخالق والمخلوق فتصح رؤية الله تعالى من حيث
تحققت علة الصحة وهي الوجود ما لم يقم البرهان على الامتناع
وكذا رؤية سائر الموجودات من الاصوات والطعوم والروائح
ونحوها غير ان عدم رؤيتها لها ليس الا لكون الله تعالى لم

بخاق في العبد رؤيتها بطريق جري العادة : وهي واجبة
 شرعا للمؤمنين في الأخرى باتفاق أهل السنة والجماعة لقوله
 تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ونظر الوجوه
 يكون بحاسة البصر ويدل لهذا تعديده بالي ولا يصح أن يكون
 هنا بمعنى الانتظار والا لتعدي بنفسه . على أن الانتظار غم
 لا يصح أن يكون بشارة ولا بمعنى التفكير ولا لتعدي يني .
 وقوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر
 وهو مشهور رواه كثير من أكابر الصحابة . ولا جماع الامة
 فقد أجمعت في المصدر الأول على وقوعها في الآخرة .
 وخلاف عائشة رضي الله عنها انما هو في الوقوع ليلة المعراج .
 وتكون وتشد بلا كيف ولا انحصار وعليه فلا يعترض بقوله
 تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فان معناه
 لا تدركه بكيفية من كفيات الحوادث ولا انحصار بحدود
 ونهايات . واعلم أن هذه المسألة قد اشتد فيها النزاع ثم انتهى الى
 وفاق بين المنزهين لا مجال معه للتنازع . اذ القائلون بجواز الرؤية
 متفقون على أنها لا تكون على المهود من رؤية البصر

المعروفة لنا في مجرى المادة بل هي رؤية لا كيف فيها ولا
 انحصار ومثل هذه لا يكون الا ببصر يختص الله به أهل
 الآخرة أو تتغير فيه خاصته المعروفة في الدنيا وهو ما لا يمكننا
 الخوض فيه وإن صدقنا بوقوعه . والمنكرون لجوازا لم
 ينكروا انكشافا يساويها فسواء كان ذلك بالبصر غير المعهود
 أو بحاسة أخرى فهو في المعنى يرجع الى قول خصومهم .
 ولكن مني الاسلام يقوم بيلون كل الميل الى الخلاف والله
 فوق ما يظنون

﴿ تمة الباب . أوامر الله ونواهيه . أو المحافظة على الوقت ﴾

ان من المقرر المعلوم لدى فلاسفة الاسلام وأى حكيم
 من الحكماء أن الماقل من يحافظ أولا على أوقاته الثمينة حتى
 لا تنفذ أدراج الرياح ولا تضعيع من بين أيديه سدى ويجد
 ثانيا في تحصيل ما يعود عليه وعلى وطنه العزيز بالنفع التام
 فلا يكون عمله ممقوتا في نظر العقلاء يصبح به مضغة في أفواه
 المتكلمين : لذلك أراني وإن كنت حديث السن لا أحب

أن أضيع وقتاً من أوقاتي هباء ولا أشتغل بخرافة تشوه مجي
 الآداب ولا تراهة تنادى بالويل والدمار . لاسيما في هذه
 الأيام أيام المخترعات والمكتشفات لعلمي أن الوقت غال ليس
 بالرخيص والمنفعة العائدة على الأمة والوطن دونها القناطير
 المقنطرة من الذهب والفضة كيف لا . وقد أمرنا الله تعالى
 بالمحافظة على ماله الأوقات نحونا من الحقوق والواجبات
 والاشتغال بما يودع في نفوسنا الحياة حتى نعيش عيشة طيبة
 نستجاب بها رضا الله والعباد . ونهانا عن الخبل والكسل
 والقيام بما يسقط الانسان من ذروة التقدم الى حضيض
 التأخر كما أمرنا بأشياء كثيرة اذا قمنا بمقتضياتها فلا جرم
 أن ندير شؤون الحضارة التي عليها مدار الحياة في هذه الدار
 ونهانا كذلك عن أشياء اذا رغبتنا عنها ورغبنا في أضدادها فلا
 بد أن نستوفي غاية الامتيازات الانسانية التي متى أحرزها
 الواحد منا كان انسان المدنية الحقة وعنوان الآداب . ولنذكر
 لك في هذا الصدد على وجه الاجمال شيئاً من تلك الأوامر
 الشرعية التي كلفنا الله بها ودعانا اليها الرسول وهمايك النواهي

مما ذكرناه في رسالتنا التي بعثناها الى (مؤثر) الأديان المعقود
 في (طوكيو) عاصمة (بلاد اليابان) حتى تعرف أيها المطلع
 على كتابي ما أمرت به ونهيت عنه فيتسنى لك بعد ذلك الاذعان
 بوجوب المحافظة نحو وقتك والايقان بصحة قولي (ان دين
 الاسلام دين حضارة ومدنية دين علوم ومعارف) فنقول
 مما أمرنا به الله ورسوله الأئمة من بعد التوحيد والاعتراف
 بالرسالة المحمدية : الاجتماع على طاعة (الخليفة) الذي يسوس
 الامور وأولى الامر بما لا يعادم شرع الاسلام في شيء كما
 تتوحد الكلمة ولا تتفرق القلوب . والتعاون على البر واقامة
 شعائر الدين والامر بما يشد أزر الاخلاق العالية والنهي مما
 يحط بالنفوس الادبية ويزري بشريف الاحساس : ولهذا يؤخذ
 الواحد منا اذا رأى أخاه يفعل منكراً ولم ينهه وقد استطاع
 ذلك وظن في نفسه التأثير . والاتصاف بالتحابب والتعاضد
 بحيث يحب الواحد لآخره ما يحبه لنفسه ويكون له عضداً عاملاً
 اذ بذلك تتم سبل التعلم والتعليم وتتوطد دعائم الارتقاء .
 والتوشع بأوشحة الصدق في جميع الامور حتى لا يجوز

الكذب في شيء ما إلا لقصد اصلاح وإمارة فساد بين
متشاحنين بشرط عدم ضياع حق من الحقوق وقد أبيع كذب
أحد الزوجين على الآخر باظهار زيادة المودة ليتوطد الوثام
بينهما وتكون الألفة ضاربة الأطناب . وإقام الصلاة : وهي
بكيفياتها الخاصة وما لا بد للمصلي منه من أحكام الالتداء
والاجتماع والاصغاء نحو ما يليق به الخطيب من الوعظ وما
اشتملت عليه من الخشوع والخضوع : تعلم صاحبها الوحدة في
الرأى كما تعلمه التعاضد والتحاب فلا يكون مضطرباً في رأيه
ولا جانحاً بنفسه نحو الاستبداد والشقاق وتذكره ان كان غافلاً
وتودع قلبه روح المعرفة ان كان جاهلاً وتعوده شكر المنعم
والاعتراف بما عليه من الحقوق والواجبات وتمنعه عن الفحشاء
والمنكر والبغى وتلبسه لباس الهيبة والوقار . وإيتاء الزكاة : وبها
سد رمق الفقير وقضاء حاجة المضطر : وكفى أنها تعود
صاحبها السخاء فيسخر على نفسه ويجود على من يحب .
وصوم رمضان : وهو يجمل في الصائم نشاطاً به يقتدر على القيام
بهمام الأمور كما يجمل فيه قوة يتوصل بها الى القيام بغير المألوف

فضلا عما يودعه من القناعة بما لديه والصبر على الكوارث
 والخطوب والشفقة نحو الفقراء والقدرة التامة التي يجمع بها
 الشهوات الموقعة في مهاوى الهلاك . والحج : ويدعو الى أشياء
 كثيرة منها تعارف الأمم بعضها ببعض فتبادل في الاخلاق
 وتشارك في المنافع وتؤكد فيما بينها روابط الصداقة التي بها
 حل عرى الاختلاف وحسبه فضلا ما تشاهده في أيامه من
 رواج التجارة وانتفاع الفقير . والحلم والحياء والرحمة وابن
 الجانب وترجيح جانب العفو على جانب الانتقام والانصاف
 وحرية الضمير والايثار على النفس والزراعة ومراعاة الشرف
 والتجلد والثبات والشجاعة والمروءة والتواضع والعزة والادب
 والعفة والزهد في المشتبهات والتفكير وحسن النظر والتدبر
 في العواقب وعلو الهمة والحكمة والتوكل على الله وحفظ
 قوانين الصحة والزينة وتطهير البدن والمأكل والملبس من كل
 ما يستقذر والحنان وخلق العانة وتنف الابط وتقصير الذيل
 حتى لا يلدوز عجب ولا تبرز جز الشارب وترك اللحية لانه
 أليق بالرجولية على أن لا تطول عن القدر المستحسن والا

أورث طولها أشياء لا تليق . وتعجيل النوم قبل طلوع الشمس
فانه أدعى للنشاط ولا يخفى ما يولده النوم بعد طلوعها من الخبل
والفتور . والوضوء عقب الانتباه وأن يكرره في كل وقت
صلاة واستعمال السواك في أثناءه وغب الاكل والنوم لازالة
الروائح الكريهة وغسل جميع البدن بعد الجماع أو خروج
المني والحيض والنفاس وترويض الجسم والعقل والتوسط في
الاشياء بين طرفي الافراط والتفريط والسلام والمصافحة
والبعد عن مواقع التهم وإسداء الخير العمومي كتعمير المساجد
والسبل واصلاح الطرقات واعداد المياه من كل غني ذى
مال وبث العالم علمه متى رأى من يصنى له ويتأهل لتلقيه وعدل
الانسان فيما وكل اليه ومنه عدل الوالد بين أولاده الصغار
ومتعدد الزوجات بين زوجاته . والامانة والايفاء بالعهود
وانجاز الوعد وأداء الشهادة حتى يؤخذ كل المؤاخذه
من يكتم شيئاً مما يعلم أو يخلف عن أدائه لدى الحاكم
متى تعينت عليه واقامة العدل في الحكم بين الناس لا فرق فيه
بين المسلم والمسيحي والوطني والأجنبي والفقير والغني : وقد

شددت المؤاخذة على الحاكم لو مال في قلبه أن يكون المسلم
 الحق دون غيره أو بش في وجه المتخاصمين ولو كان
 ممن يعز عليه . وعيادة المريض وصلة الرحم وبر الوالدين ولو
 ظلما وحسن المعاشرة واعطاء الموتر شيئا من ماله الفاضل عن
 حوائجه للمضطر المحتاج والاشتغال بما يكسب الانسان النفقة
 على نفسه ومن يعمل كالخياطة والزراعة والبناء وتخليص كل
 نفس من الأذى وإغاثة الملهوف والتحرى في رد اللقطة الى
 صاحبها والجهاد لاعلاء كلمة الله : الى غير ذلك من الفضائل
 التي لا تحصى : ومما نهانا عنه أشياء كثيرة كالغضب والقسوة
 والغلظة والجفاء والنفاق والفتنة والبغى في الانتقام والاعتساف
 والتمصيب والتختل والشح والحرص والطيش والتهور والعناد
 والتمرد والتضجر والجبن والكبر والمذلة والمسكنة والمباهاة
 وكفران النعمة والحقد والحسد والشره والبطر والاستبداد
 والبلادة والمعجز والتسويق والميل للراحة والدعة والمجون
 والركون للرفاء والاسراف والتبذير والفضول والاعتماد على
 النفس والجور في الحكم وقطع الرحم والعقوق . وترك الصلاة

والزكاة والصوم والحج . والغش والتغريب والافتراء والسخرية
وقتل الإنسان نفسه وغيره والسعي وراء ما فيه لقاء النفس
في التهلكة واسقاط الجنين ولو باتفاق الوالدين والتجسس
والتطلع على عورات الأغيار . وكل ما تنفر منه الأذواق
السليمة وتأباه مكارم الاخلاق كالزنا واللواط والسرقة والغيبة
والنميمة وشرب المسكرات قليلها وكثيرها ومشاهدة الإنسان
غيره بما لا يحب . والحزن واظم الوجه والعويل عند المصيبة
وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير لما يترتب عليها من الضرر
وامتلاء البطن من الطعام . والاكل والشرب قائما أو ماشيا لما
حذرت منه الاطباء والطيرة والتشاؤم وطالب الخير من غير
أهله وطريقه وآيات البيوت من غير أبوابها واقتراف ما تنبرأ
منه الشهامة وتباعد عن مقترفه أبناء العواطف الشريفة ورجال
الاحساس : وسائر أصدقاء الأوامر المتقدمة لك : واذا قد
وقفت على هذا اجمالا عرفت (حضارة هذا الدين الاسلامي
ومدنيته) وأذعنت بما له من الفضيلة ورفعة المقام . اذ لا يدعو
الى فضائل الاعمال وينهى عن رذائلها سوى دين يؤيد أصوله

قانون العقل وقواعده دستور الذوق السليم . ومن أصوله
المتبعة أن يحافظ الانسان على زمنه حتى لا تضيع فرصة منه
هباء منشوراً وأن يأخذ بنفسه الى منصة السؤدد وذروة المجد
ولا يتسنى له ذلك إلا بعد القيام بمقتضيات وواجبات هذا
الدين الأبرر بالتعلم والتعليم والنهي عن الكسل والخمول كما
ذكرنا . ومن الأسف أن كثيراً من الناس ترك القيام بمقتضيات
الحضارة الاسلامية ظهرياً وأشغل نفسه بخيالات وأوهام
ظاناً أنه على هدى ونور مع أنه بعيد عنها : وكم رجل أضاع
فرسه بمثل ما ذكرناه من المنهيات كالغيبة والمهمة واضطهاد
العلم والعلماء وملاً باطنه حقداً وخسداً وألبس ظاهره عجباً وكبرا
وادعى ما ليس فيه ادعاء من تكذبه شواهد الامتحان . مع
أن مثل ذلك كله ضد الآداب والدين كما عرفت لا يرجع
عليه إلا بالسقوط في نظر العقلاء : كما أن الاشتغال بالاضاليل
التي يمويه بها الدخيل على أفكار العامة والباطيل التي ما أنزل
الله بها من سلطان والأحاديث الملفقة كذبا وضلالاً على لسان
الرسول الأعظم والمواضيع التي مجتها الأذواق وأنفت منها

الاسماع : لا يكسب المشتغل بها سوى المذمة والانتقاد . ومما
يزيد المصيبة أخرى مارأيته وأراه من بعض الظانين بأنفسهم
العلم وبأعمالهم الخير من ميلهم الى تأليف أو قراءة القصص
في مولد النبي صلى الله عليه وسلم المشحونة بالأكاذيب فضلا
عن الشعر البارد والسجع الركيك والمعاني المنحطة القاضية على
التقدم في المعارف والرقى في الافكار أصلحنا الله واياهم ووفقنا
لما يحبه ويرضاه وفي هذا كفاية فاحفظه ولا تضجر والسلام

✽ الايمان بالملائكة وبيان حقيقة هاروت وماروت ✽

الايمان بالملائكة أن يعتقد بوجودهم المكاف اعتقاداً
جازماً لا يشوبه ريب وانهم معصومون لا ينزلون بمنكر ولا
باطل (وما تنزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين)
قائمون بعبادة الله حق القيام (يسبحون له بالليل والنهار وهم
لا يسأمون) محترمون عند ربهم اذ هم (عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون
ما يؤمرون) . وما قيل ان الله تعالى أنزل الى الارض ملكين

يسميان هاروت وماروت وانهما عصيا أمره وشربا الخمر
 وقتلا النفس وأنهما يعلمان الناس السحر . فما لا يسأله مسلم ما قل
 لوجوه . منها أنه ليس من الحق الذي تنزل به الملائكة مثل
 شرب الخمر وقتل النفس التي حرم الله . ومنها أنه تعالى على
 عصمتهم في قوله (لا يمضون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)
 وأعلم أن قوله تعالى (وأطيعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان
 وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
 وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من
 أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر)

لا يدل لمن خالفنا فيما قلناه بشيء لما أن هاروت وماروت لا يخلو
 أمرهما من أحد وجهين إما أن لا يكونا من الملائكة قطعا وعليه
 فتكون ما في قوله تعالى (وما أنزل على الملكين) نفي معطوف
 على قوله وما كفر سليمان أي وأطيعوا ما تلو الشياطين على
 ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر
 على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
 ببابل هاروت وماروت . والملك جبريل وميكائيل لأن

سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم انه تعالى أنزل السحر على
 لسانهما الى سليمان فأكذبها الله بذلك وأخبر نبيه أن جبريل
 وميكائيل لم ينزلا بسحر قط وبرأ سليمان مما نسبوه اليه وبين
 أن السحر من عمل الشياطين . ويكون هاروت وماروت
 بدلا من الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت
 ويؤيد هذا ما روي عن خالد بن أبي عمر من قوله انها قبيلتان
 من قبائل الجن تعلمان الناس السحر . وروي عن الحسن
 البصري أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام وكان يقول
 ان هاروت وماروت عاجزان من أهل بابل . وقال بعض
 مشايخنا في درسه في قوله تعالى الملكين قراءتان فتح
 اللام وكسرها وهما رجلان صاحبان وقار وسمت فشيها
 بالملائكة وكان يؤمهما الناس بالحوائج الاهلية ويجلونهما
 أشد الاجلال فشيها بالملوك وتلك عادة الناس فيمن ينفرد
 بالصفات الحمودة يقولون هذا ملك وليس بإنسان كما يقولون
 فيمن كان سيذاً عزيزاً يظهر الغنى عن الناس من حيث
 يحتاجون اليه هذا سلطان زمانه الى أن قال ولعل الله سماها

ملكين بفتح اللام حكاية لاعتقاد الناس فيها وأجاز أيضاً
 كون إطلاق لفظ الملكين عليهما مجازاً كما قال بعض
 المفسرين انتهى . الا أن الذي لا شك فيه على هذا القول أنهما
 لم يكونا ملكين : أو يكونا من الملائكة نزل بشريعة حق بعلم
 ما على أنبياء فعلمهم الدين وقالوا لهم لا تكفروا نهياً عن الكفر
 بحق وأخبرهم أنهم فتنة يضل الله بهما من حاد عن الإيمان
 ويهدي بهما من سلك سواء السبيل . وكما تكون الفتنة
 ضلالاً تكون هدى قال تعالى حاكياً عن موسى أنه
 قال له (ان هي الا فتنتك تفضل بها من تشاء وتهدي
 من تشاء) وقال عز من قائل (وما جعلنا أصحاب
 النار الا ملائكة : وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
 ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً) . ثم
 نسخ الله تلك الشريعة كما نسخ شريعة موسى وعيسى فتعادت
 الجن على تعاليم ذلك المنسوخ . وعلى هذا فتكون ما اسم
 موصول بمعنى الذي كأنه تعالى قال يملكون الناس السحر
 والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . وعلى كل

فلا تدل الآية دلالة قطعية على أن هاروت وماروت من
 الملائكة ولا على أنهما عصيا أو فعلا مالا يليق وإنما ذكر ذلك
 في رواية موضوعة غير صحيحة الاسناد وليست عن النبي صلى
 الله عليه وسلم فبطل التمسك بها وصح ما قلناه . هذا وقد
 حمل الامام الرازي السحر في هذه الآية على حقيقته وقال
 ان هاروت وماروت ملاكان غير أن وقوعه منهما كان لمقصد
 حسن وغرض شريف وملخص قوله أن السحرة لما
 كثروا في ذلك الحين واستنبطوا من سحرهم أبوابا غريبة
 حتى بلغ من أمرهم ادعاء النبوة وجعل تلك الاعمال السحرية
 معجزات لهم . بعث الله هذين الملكين ليعلم الناس السحر
 حتى يتمكنوا من معارضة أولئك السحرة ولا شك أن هذا
 من أحسن المقاصد . فهذان الملكان كانا لا يعلمانه لاحد حتى
 يبذلا النصيحة فيقولان له إنما نحن فتنة أي محنة يتميز بها
 المطيع من العاصي . فهذا الذي نصفه لك من السحر وان كان
 المقصد منه ظهور الفرق بين السحر والمعجزة ولكنه يمكنك
 التوصل به الى المفسد فاياك أن تستعمله فيما حرم الله . ثم ان

القوم تعلموه منها واستعملوه في المعاصي . والعلم به غير قبيح ولا محذور وإنما المحذور العمل به انتهى المراد منه : ولا بأس به إذ ليس فيه ما يمس بعصمة الملائكة ولا ما يحط بكرامتهم عند الله تعالى وفي هذا الكفاية فتدبره بالانصاف والسلام



﴿ الملائكة والجن ومائيتهما وأعمالهما ﴾

الملائكة أجسام لطيفة نورانية خلقها الله تعالى من مادة لطيفة كمادة الهواء أو الأثير الذي يقول به متأخرو الفلاسفة من أنه مادة لطيفة مائة الكون لا ترى . وأودعها قدرة على التشكل بأي شكل أرادته وقوة بها تفعل ما تريد من الأفعال العظيمة التي تقف دونها قوى الإنسان وتقطع المسافات البعيدة التي بين الأجسام السماوية وبينها وبين الأرض في أقصر مدة وجعل منها حفظة على الإنسان وكتبه تكتب أعمال العبد من حسنات وسيئات . وهي تقرأ ما نغیر أننا لا نراها كما نطقت بجميع ذلك نصوص الشريعة المتواترة والمشهورة والأحادية التي بلغ ما يستفاد منها حد التواتر . ولا يقال كيف يمكنها

الاقتدار على التشكل وهي لطيفة الاجسام . لما أت ذلك
 بقدرته تعالى وليس مثله على الله بعزير ومن نظر بفكر الى
 أعمال (الكماويات) التي جعل الله الانسان قادراً عليها من
 تحويلات الاجسام الى بعضها كتحويل اللطيف كشيء
 والكثيف لطيفاً لا يرى للفرابة في ذلك سبيلاً . كما لا يقال
 ان قيامها بالشاق من الاعمال غير ممكن وهي أجسام لطيفة
 لما أنه بقدرته تعالى أيضاً ومن نظر الى أعمال (الكهرباء) التي
 تقود ما لا يدخل تحت طوق المثات من الرجال من الانتقال
 العظيمة . والى ما تعمله الرياح التي تقلع الثابت من الأشجار
 في الارض وتدمر متين الأبنية التي تعجز عن تدميرها
 العشرات من أقوىاء البشر . لا يرى شيئاً من الفرابة في نسبة
 الاعمال الشاقة للملائكة . وقطعها المسافات الشاسعة في المدة
 القصيرة ليس مما يمنعه المتفكر البصير . لما أنه بالقُدرة الالهية
 أيضاً ومن له معرفة بفن الهيثة وعلم سير الكوكب المسمى
 بالمشتري الذي يقطع في الساعة الواحدة ثلاثين ألف ميل مع
 كونه كثيف الجسم أكبر من الارض التي نحن عليها بأضعاف

الاضعاف كما يقول بعض أهل الملك . لا يستغرب قطعها
 المسافات البعيدة في الزمن القليل : وفائدة كتابة الكتب منها
 حسنات الانسان وحيثه . أن الواحد اذا علم بها استحي وترك
 المعاصي لا حاجة دعت علمها لاحاطة علم الله تعالى بجميع
 الاشياء . وعدم رؤيتنا اياها ليس الا لكونها شغافة ولطيفة
 كالهواء والاثير على أن الرؤية بمحض خلقه تعالى ومن الممكن
 أن لا يخلق رؤيتنا لها عند ما نمر امام الواحد منا : والجن أمة
 عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناهلة تموت كما تموت
 وقد أجمعت على ذلك المسلمون والنصارى والمجوس والصابئون
 وأكثر اليهود حاشا السامرة . ويمروث أمامنا ولا نراهم
 كالملائكة قال تعالى (انه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم)
 وبهذا تعلم أن الجن قبيل ابليس قال عز من قائل (الا ابليس
 كان من الجن) . وهم أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم
 وعنصرهم النار كما قال سبحانه (والجان خلقناهم من قبل من
 نار السموم) والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما . ولا يقال
 ان للنار المشتعلة عندنا لونا . لما أن حدوث اللون المشاهد ليس

الا لا متزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من مثل الحطب
والخشب . ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر . ولو لم
يكونوا أجساما صافية رقاقا هوائية لأدركناهم بحاسة اللمس .
هذا وليكن في علمك أنهم يوسوسون في الصدور كما قال
تعالى (من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس) وأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم لذلك
يتحقق منه الصرع عند مماسه للمصروع قال عز وجل
(كالذي يتخبطه الشيطان من المس) ولنا في هذا المحل كلام
لا يتجمله هذا الكتاب . واعلم أن جميع ما قلناه في حق الملائكة
من القدرة على التشكل والأعمال الشاقة وقطع المسافات في
أقصر مدة نقول مثله في الجن والدليل واحد لا ينفق على
العاقل البصير والسلام

﴿ كلمة في السحر ﴾

اضطربت العلماء مفسرين وفقهاء في حقيقة السحر وهل هو
معتاد أو من خوارق المعادات . واني أذكرك ما يرتاح به

فؤادك ويطمئن له خاطر كـ مما نطقت به لغتنا العربية وجاء به القرآن
 فأقول السحر عند العرب عبارة عن كل ما لطف مأخذه ودق
 صنعه وخفي على غير أهله مسلكه . ومنه (الخداع) يقال سحره
 بتحريك الحياء مخفية ومشددة بمعنى خدعه . (وتأثير العيون) في
 طلاب الحسان . (وبلغ الكلام) في أرباب البيان . فان مثل ذلك
 مما يخفى مسلكه ويدق سببه حتى يكون الوقوف على العلة في
 التأثير مما يمسر على الكثير من الناس . ولهذا قالوا عين
 ساحرة وفي الحديث (ان من البيان لسحرا) وقد وصفه الله في
 القرآن بأنه تخيل يخدع الأعين فيريها ما ليس بموجود موجوداً
 فقال (يخيل لهم من سحرهم أنها تسمى) وقال (فسحروا أعين
 الناس واسترهبوهم) وكثيراً ما ذكره الحق سبحانه في كتابه
 وأكثره في قصة موسى وفرعون : ثم إن من تتبع الآيات
 يرى أنه أما حيلة وشعوذة وأما صناعة علمية خفية يسمى العمل
 بها سحراً . وليس عمال يستمان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب
 كما يدعيه بعض السحرة التي تتخذ مثل هذه الاقاويل وصلة
 للمعاش وطريقاً لاستنزاف أموال الناس بالباطل . وقد اعتاد

الذين اتخذوا التأثيرات النفسية التي يمكن عدها من السحر
لدقة سببها وخفاء مملكتها. أن يذكروا كلاما مبها وأسماء
غريبة اشهر أنهم من أسماء الشياطين وملوك الجان وأنهم يحضرون
إذا دعوا بها ويكونون مسخرين للداعي يلبون طلبه ويطيعون
أمره حتى يكون لكلامهم تأثير في إثارة الأوهام : واعلم
أن السحر يتلقى بالتعليم كما يشهد التاريخ بذلك ويشير إليه قوله
تعالى (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) وبما
ذكرنا تعلم أنه معتاد وليس من خوارق العادات . وغرابته
ليس الا لجهل أسبابه وخفاء مسالكه على غير أهله

﴿ الايمان بكتب الله تعالى المقدسة ﴾

من الواجب علينا التصديق بما أنزله الله تعالى على رسوله
من الكتب المقدسة التي جاءت بالأمر والنهي . والوعد والوعيد
وغير ذلك . وهي التوراة والانجيل والزبور والقرآن . والاخير
أفضلها وقد نسخ الله به تلاوتها وبعض أحكامها . وهو غير
مخلوق باعتبار مصدره إذ مصدر الكلام المسموع عن الله

تعالى لا بد أن يكون شأننا من شؤونه قديماً بقدمه . وأما
 الكلام المعبر عن ذلك الوصف القديم المسموع لنا فلا خلاف
 في حدوثه . لما أنه يتلى بالألسنة ويكيف بالأصوات ولا في أنه
 خلق من خلقه تعالى . وإنما خصص بالاسناد إليه تعالى
 لاختياره له سبحانه في الدلالة على ما أراد ابلاغه خلقه . ولأنه
 صدر عن محض قدرته البالغة لا مدخل لوجود آخرفيه بوجه
 ما سوى أن الرسول الذي أنزله على لسانه مظهر لصدوره .
 (وهذا ما أدين الله عليه) وما عداه فصادرة للبداهة وتجرو على
 مقام القدم بنسبة التغير والتبديل إليه . فان الانفاظ المقرؤة
 تحدث وتنفى كلما قرأها القارؤون : وبالله يجب ممن يقول بقديم
 القرآن المقرؤة فانه أضل سبيلا ممن ضلوا وأضلوا وهم لا يشعرون
 وهل القول بأن الله أوجده بدون كسب أحد في أصل
 تركيبه ووجوده . يحط بشرف نسبته إليه ويمس مقامه الارتفاع
 كلاً ثم كلا . بل ذلك هو السنة التي دعا إليها الدين وجاء بها
 الرسول وما سواه فبدعة وكل بدعة ضلالة : أما ما نطقت به

كتب التاريخ من امتناع بعض الأئمة عن النطق بأنه مخلوق . ومن ذلك الخلاف الذي فرق الأمة حتى كان القاضية فقد كان مصدره المبالغة في التأدب ومجرد التخرج والا فيجل مقام مثل الامام ابن حنبل عن اعتقاد قدم القرآن المتلو وهو يتلوه كل ليلة بلسانه ويكفيه بصوته : ولا يقال ان السيدة عائشة رضی الله عنها قالت ما بين دفتي المصحف كلام الله فتكون الالفاظ المقروءة قديمة : لما أن قولها هذا محمول على القرآن باعتبار مصدره وقد علمت أن مصدره صفة قديمة قائمة بذاته تعالى . ولا يعقل من مثل تلك السيدة القول بأن الالفاظ التي نحدث وتنفى كلما تليت كلام الله . اللهم الا أن تريد بقولها كلام الله أنه تعالى أوجده بنفسه وليس لاحد من البشر كسب في أصل تركيبه ووجوده : واعلم أن هذا الكتاب هو الدستور الذي عليه مدار الشريعة المحمدية والآية الكبرى التي تحدى بها الرسول الامين عليه السلام على فصحاء العرب حتى أخرس بآياته الألسنة وحير بأساليبه الابواب . من تمسك به فقد اهتدى ومن ضل عن سبيله فقد غوى . واني لولا

خوف الملل لا سبب لك في ذكر ما أنطوى عليه من الفضائل
 والأسرار . وشرح ما أودع فيه من الحكم . ولأطلت في بيان
 ما أعده الله تعالى للقائمين بواجباته الخاضعين لسلطانه من
 النعم الدنيوية والاخروية التي لا تدخل تحت عد ولا حصر
 ولكن لا مانع من أن نأثي على بعض ماورد فيه فنقول (ان
 الله أنزل هذا القرآن أمراً وذاجراً وسنة خالية ومثلاً مضروباً
 فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم
 لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه . هو الحق ليس بالهزل
 من قال به صدق ومن حكم به عدل . ومن خاص به فليج ومن عمل
 به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم . ومن طلب
 الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله . هو
 الذ كر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين
 والشفاء النافع . عصية لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج
 فيقوم ولا يزيع فيستعقب) وبالجملة فهو (كتاب لا يأتيه الباطل
 من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

﴿ انزال القرآن ﴾

أنزل الله القرآن لتفهم الناس أسرارہ وتفقه حکمة
 تشريعہ وفائدة التكليف به وتستعمل آياته وتذكر أولو الالباب
 قال تعالى (كتاب أنزلناه مبارك ليبدروا آياته وليتذكر
 أولو الالباب) اذ هو الحجة البالغة والآية الكبرى فعلى
 كل عاقل أن يتلوه بالتدبر لانه هو المقصود من القراءة
 ولذلك سن الله فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر
 طريق يتمكن بها من التدبر في الباطن قال علي رضي الله
 عنه . لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها .
 واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فايردد الا أن يكون
 خلف أمام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل إمامه بآية أخرى
 كان مسيئاً لمن يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن
 فهم بقية كلامه : وقد عبر الله تعالى عن التدبر بالتلاوة حق
 التلاوة في قوله (الذين آتيناكم الكتاب يتلونه حق تلاوته
 أولئك يؤمنون به) : وأن يطالب نفسه بفهمه والعمل به ولا

شك أن كل من له معرفة ولو قليلة باللغة العربية فإنه يفهم منه
 ما يبتدى به . ومن كان أمياً أو أعجمياً فعليه أن يسأل القارئ
 أن يقرأه له ويفهمه معناه . ومن الأسف أن أكثر الناس
 اليوم منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب قامت في الانفس
 وحجب أسد لها الشيطان . وحجب الفهم كثيرة منها أن
 يكون منصرفاً الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها . وهذا
 يتولى حفظه شيطان وكل بالقراءة ليصرفهم عن فهم معاني
 كلام الله عز وجل : ومنها أن يكون مقلداً لمذهب سماعه
 بالتقليد وجد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع
 للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة . فهذا شخص
 قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكن أن يخطر بباله غير معتقده
 فصار نظره موقوفاً على مسموعه فان لمع برق على بعد وبداله
 معنى من المعاني التي تخالف مسموعه حمل عليه شيطان التقليد
 حيلة وقال له كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك
 فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد عنه ويحترز من
 مثله . ولمثل هذا قالت السادة الصوفية ان العلم حجاب . وأرادوا

بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو
 بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم
 ومنها أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى
 لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد
 ونحوهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى . وأن من فسر القرآن
 برأيه فقد تبوأ مقعده من النار . مع أن المراد بالرأى في هذا
 الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى
 يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخص باسم
 الرأى : هذا وأما مجرد التلاوة وتحريك اللسان بالألفاظ مع
 عدم تعقل عقائده وحكمه وأحكامه وشرائعه وعدم القيام
 بحقوقه الواجبة . فما لا يعود بالنفع بل أن من يتلوه وهو معرض
 عن هدايته غير معتبر بوعده ووعيده ولا قائم بواجباته
 ومقتضياته لاشك في أنه كالمستهزي بربه ومثله كمثل الحمار
 يحمل أسفارا أو مثل من يكرر كتاب أميره في كل يوم
 مرات وقد كتب إليه في عمارة ناحيته وهو مشغول بتخريبها
 ومكب على دراسة كتابه فلم له لو ترك الدراسة عند المخالفة

لكان أبعد عن الاستهزاء والمقت . ولا يقال وردت أحاديث كثيرة ترغب بالتلاوة وليس فيها ذكر التدبر . فإنها محمولة على اعتبار التدبر المعلوم من الآيات والأحاديث الأخرى . وبهذا تعلم أن قول العلماء أن القرآن يتعبد بتلاوته ليس على إطلاقه والألفالقرآن والسنة يصرحان في مواضع كثيرة بخلاف هذا القول . وقد جاء من الأحاديث ما يصف حال قوم يأتون بعد يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم وقد ساء شرار الخلق فهو لاء الاشرار قد أخذوه من الأغاني والمطربات وإذا طالبت أحدهم بالفهم والتدبر أخذته العزة بالانتم واحتج عليك بكلمة قالها فلان أو حلم رآه فلان وهكذا انقلب على كثير من المسلمين وضع الدين فلا حول ولا قوة الا بالله

✽ الإيمان بالرسول ✽

الإيمان بالرسول هو التصديق بهم وبجميع ما جاؤا به عن الله تعالى من الأحكام إذ لا ينطقون عن الهوى وبآياتهم الحقة ومعجزاتهم الصادقة وما أنزل عليهم من الصحف والكتب

والايقان بعصمتهم من الصفات عموماً والكبائر مطلقاً لما أن
العصمة من ذلك شرط في الرسالة . وما يشعر بصدور المعصية
محمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة : وليكن في علمك
أن ارسال الله تعالى رسوله الى عباده من أجل النعم عليهم اذ
بعثة الرسول هي الحكمة التي عليها مدار التوحيد الخالص من
شوائب الشرك والشرك وقيام أعمدة اليقين بما أعده الله لمن
أطاع من الثواب ومن عصى من العقاب وتمهيد سبل الحضارة
الدينية وتوطيد دعائم الحياة في هذه الدنيا وغير ذلك مما يتعلق
بالاخرى مما لا يمكن لكثير من الناس ادراك جميع جزئياته
وكلياته بدون رسول يرشد الى سواء السبيل . وكثير من
الناس نقص عن معرفة المنافع والمضار الاخرية جزئياتها
وكلياتها وبعضهم وان كان له سبيل الى معرفة الكليات اجمالاً
فليس له سبيل الى معرفة الجزئيات تفصيلاً . لذلك من الله تعالى
على عباده بأجل النعم فأرسل فيهم رسلاً يتلون عليهم آياته
ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة : وما تمكنت أمة من الامم
برسولها الا وصلاح معادها ومعاشها وكانت كما تحب وتشاء

لما أودع الله تعالى رسوله من (الأمانة) التي بها حفظ ظواهرهم
وبواطنهم من التلبس بباطل أو ضلال (والصدق) الذي به
نمو الفضيلة وتعزيز مكارم الاخلاق (والقطانة) التي هي الركن
الاعظم في إقامة الحجج على الخصم وحسن المجادلة معه لا قناعه
بالحق : وكل من الأمانة والصدق والقطانة صفة واجبة لهم
عليهم الصلاة والسلام كما أنه يجب لهم تبليغهم الخلق ما أمرهم
به الله . ويجب علينا أن نعتقد بوجوب هذه الصفات الأربع
لهم واستحالة أضدادها عليهم وجواز ما يجوز أن ينسب اليهم
مما سنده كره قريباً وأن نعتقد بجميع ذلك في حق الانبياء
الذين لم يؤمروا بالتبليغ . لانه ربما يستفتيهم الناس عن أحكام
شرائع من قبلهم من الرسل ولانهم مأمورون بتبليغ الخلق
أنهم أنبياء يعرف الغير مقامهم فيقدرهم حق قدرهم . والنبي
انسان فطره الله على الحق علماً وعملاً بحيث لا يعلم ولا يعمل
الا حقا على مقتضى الحكمة الالهية فان فطره على الدعوة الى
ما جبل عليه فهو رسول أيضاً والا فني فقط .

﴿ جولة في الأدلة على وجب الأمانة والصدق ﴾

(والفتانة والتبليغ وبيان ما يجوز على الرسل عليهم السلام)

من المعلوم أن الله تعالى أرسل رسله بالحق مبشرين ومنذرين . ومرشدين وهادين . وإذا كانوا كذلك فلا بد أن يتصفوا وجوبا (بالأمانة) كما قلنا إذا اتصاف بضدها (الخيانة) يوجب ما لا يليق لانهم لو خانوا بفعل معصية لكننا مأمورين بذلك لما أنه تعالى أمرنا باتباعهم في الأقوال والأفعال والأحوال بلا تفصيل والله لا يأمر بالمعصيان . إذا فاستحالت الخيانة ووجبت الأمانة (والصدق) إذا اتصاف بضده (الكذب) مما لا يسلمه العاقل لانهم لو كذبوا فيما يبلغونه عن الله لازم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات التي يجريها على أيديهم تأييداً لهم وتمضيدها لانها نازلة منزلة قوله صدق عبدي فيما يبلغ عني وتصديق الكاذب كذب وهو على الله محال . وإذا استحال الكذب فيما يبلغونه عنه تعالى وجب الصدق فيه : أما وجوب صدقهم واستحالة كذبهم في غير

ما يبلغونه فانهم لو كذبوا لكان الكذب خيانة وقد علمت استحالتها
 عليهم (والفظانة) اذ الاتصاف بضدها (الففلة) يوجب
 العجز لأنهم لو كانوا مغفلين لما كان في استطاعتهم اقامة
 البرهان على الخصم والمجادلة معه بالتي هي أحسن وهذا يخالف
 منصب الرسالة التي عليها قوام الهداية وكيان الارشاد .
 فوجب لهم بذلك التفطن والتيقظ واستحالت الففلة (وتبليغ
 الخلق ما أمروا بتبليغه) اذ الاتصاف بضده (الكتمان)
 يستلزم الفساد بين أفراد الأمة لأنهم لو كتموا شيئاً مما
 أمروا بتبليغه لكانا مأمورين بكتمان العلوم والمعارف لما علمت
 من أننا مأمورون بالافتداء بهم . وكوننا مأمورين بكتمان
 العلم باطل فيكون كتمانهم شيئاً مما أمروا بتبليغه باطلاً . اذاً
 فوجب لهم التبليغ واستحال عليهم الكتمان . هذا . واذ قد علمت
 أن الرسول إنسان كما تقدم علمت أن الأعراض التي تلحق للنوع
 الانساني جائزة على كافة الرسل ولكن بشرط أن لا تكون
 مؤدية الى نقص في مراتبهم ولا غلبة بالرسالة ولا منفرة للناس
 عن الاجتماع بهم والاخذ عنهم . مثل الاكل والشرب والجماع

في الحلال والمرض الذي لا ينفر الخلق ولا يخل بالنبوة . وعلى
 هذا فلا يجوز عليهم مثل الجنون والعمى والجذام والبرص .
 وما قيل ان شعيباً كان أعمى فقير ثابت وما كان بأيوب فقد
 كان ألماً تحت الجلد ليس منفراً . كما لا يجوز عليهم النسيان في
 الأقوال والأفعال قبل التبليغ وأما بعد التبليغ فيجوز من
 جانب الله تعالى الحكمة لأنعلمه لا من جانب الشيطان لما أنه
 ليس له عليهم سبيل . أما وسوسة الشيطان لآدم فقد كان
 يتميل ظاهري اذ يتمتع لبعه بواطن متعلقة بالله محفوفة من
 الشكوك . وما يؤهم خلاف ذلك فثبوت : ولا السهو في الأقوال
 لأنه يورث الشبهة في عموم الاخبار وأما في الأفعال فيجوز
 وحكمة وقوعه منهم في مثل الصلاة أن يرى الناس كيف
 يعملون عند حدوث السهو في العبادة لان دلالة الفعل أوضح
 من دلالة القول

﴿ أفضل الأنبياء والمرسلين والخلق أجمع ﴾

ان أفضل الخلق قاطبة وأرفعهم عند الله تعالى نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم وقد انعقد الاجماع على ذلك اذ لا يضارعه
 عليه السلام في قدره غيره ولا يجاريه في رفعة سواه
 جاء بكتاب من عند الله يخبر عن مقامه الارفع اخبارا
 حقيقيا لا يشوبه ريب ولا يخالطه مرأى . كتاب لا يأتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه ينطق بلسان البيان
 والتبيان لسان الفصاحة والبلاغة أنه أفضل المخلوقات عموما
 إنسا وجنا وملكا كما ينطق بلسان الحق والصدق أنه الرسول
 الذي ما مال عن جادة الطريق حتى في صغره ولا حاد مدة
 حياته عن محور الآداب . لذلك كان القطب الذي تدور عليه
 رحى السعادة والقدوة المتبعة في العلوم والاخلاق . ولا بدع في
 ذلك فقد كان دأبه ليس الا السعى وراء التقدم الاسلامي
 ولو وقفت في طريقه الاعداء . وكم مهدت له أعداؤه عقبات
 التأخر وجلت فيما بينه وبين مبتغاه الحجب الحالكه والسحب
 المظلمة التي أخذت بهم الى عمى القلوب وهم لا يفقهون . وهو
 يقطع تلك العقبات بحزم ثابت لا تبدده الحوادث وعزم رفيع
 لا تغيره الكوارث ولا تضعفه الايام ويزيل هاتيك

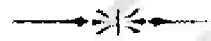
الحجب بفكره الثاقب ورأيه الصائب وعضبه الصارم . ويمحو
دياجير السحب بنور شريعته القراء التي طلعت شمسها في
سماء القلوب حتى أشرقت بسناها أرجاء الأحشاء وأضاءت
بشعاعها الصدور والوجوه . تبتك عن ذلك كله تلك
الغزوات المسطرة وقائمه على صفحات التاريخ . فلکم قاوم فيها
عدوه الألد بثابت جأش لا يدعوہ الى ملل ولا يطالب منه
شططا وقوة قلب خالط عروفه دم الجد والنشاط وسعة صدر
ملؤه العلوم والمعارف . ومن جهاته الست ممدات البسالة
ومقدمات الاقدام . ومن أسفله وأعلاه روح الحمية وسر
الاسلام ولهذا خابت مساعي أعدائه حتى كأنها الهباء المنثور
وكان عليه الصلاة والسلام صاحب السيطرة والسلطان
واذا شئت الايقان بهذا أجمع فتصفح بامعان صفحات القرآن
المجيد ينبئك عن جليل أعماله وما أثره السماء التي أصبح بها
أفضل المخلوقات عموما والأنبياء خصوصا . والادلة على
أفضليته على الانبياء من ذلك الكتاب الشريف وصحيح الحديث
وغيرها أكثر من أن تحصر أما أدلة الكتاب فمنها قوله تعالى

(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وسائر الانبياء منهم واذا كان
أرسل اليهم رحمة فهو بالطبع أفضل منهم اذ لا يرسل كذلك الا
من كان أعلى وأرفع . ومنها قوله في أمته (كنتم خير أمة
أخرجت للناس) واذا كانت أمته خير الامم وهي تابعة له
فن اللازم أن يكون المتبوع أرقى من غيره وأفضل ممن سواه
ومنها قوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) اذ فيه قرن
بيعته تعالى ببيعته ومنها قوله (يا أيها النبي) وقوله (يا أيها الرسول)
حيث ناداه بما ينبي عن التعظيم ويدل على التبجيل وقد نادى غيره
من النبيين باسمه فقد نادى آدم عليه الصلاة والسلام بقوله
(يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) وعيسى صلى الله عليه وسلم
بقوله (يا عيسى اني متوفيك) وموسى عليه السلام (يا موسى
انا الله) وشتان ما بين الندائين . وأما أدلة الاحاديث فمنها
ما جاء في صحيح البخاري ومسلم عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي كان كل
نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أمة رسولاً وأحللت
لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة وطهوراً

ومسجداً فأبما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت
بالرعب على العدو مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة) ومنه يعلم
عموم بنوته الثقلين كافة كما يعلم ذلك من صريح القرآن أيضاً
ومن المعلوم بداهة أن ذخائر كل ملك وأمير لا بد أن تكون
على مقدار رعيته فأمر المدينة يحتاج الى أكثر مما يحتاج اليه
أمير القرية . إذاً فلا جرم أحرز صلى الله عليه وسلم من المعلوم
والمعارف وجوامع الحكم وبدائع الحكم ما لم يحرزه غيره من
الانبياء والمرسلين ومن كان كذلك فهو أجل وأرقى ومنها قوله
(أنا أكرم الاولين والآخريين وأنا سيد العرب) ولا تنافي
بين هذا وبين قوله (لا تفضلوني على يونس بن متى) وقوله
(لا تخيروا بين الانبياء) لما ان كلا ورد في مقام فحيت رآهم
يخطون ببعض النبيين منهم عن ذلك بقوله لا تفضلوني ولا
تخيروا الحديثين وحيث رآهم يزدرون مقامه الارتفاع ويتمجبون
من الانبياء منهم عن ذلك فقال أنا أكرم الاولين الحديث
على أن التمييز بين اثنين لا يليق بأى انسان اذ لا يمكن ذلك
الا بعد الاحاطة بفضائلهما ولا تتوفر الاحاطة لدى كل

أحد من الناس . ولا مانع من أن يكون قوله لا تفضلوني
ولا تخيروا تواضعاً منه وانكساراً إذ هو مثال التواضع
والانكسار وقد استدلل بعض الملحدين على عدم أفضليته بمثل
هذين الحديثين جهلاً أو مكابرة مع ظهور ما ذكرناه جلياً وقوله
في نظر المنصف . على أنه لا يلزم من النهي عن شيء عدم مطابقة
ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقاً في الواقع ونفس
الامر وينهى عن الاشتغال به لعدم أهميته بالنسبة لما هو أهم
وعليه فالمراد بالحديثين لا تشغلوا بتفضيلي على غيري وتفضيل
بعض باقي الانبياء على بعض فانه لا يهمكم ذلك بل المهم معرفة
النبيين والايان بهم حتى يكون الواحد منكم مهتدياً . وبهم
مقتدياً . وأما أدلة غير الكتاب والأحاديث فمنها أن معجزاته
أكثر من معجزات غيره وقد أوصلها البعض الى ما يوف عن
ألف وأجلها عندى القرآن بل هو يشتمل على أكثر من ذلك لان
التحدى وقع باقصر سورة منه وهى الكوثر وكل ثلاث آيات
منه تصلح للتحدى فيكون ذلك الكتاب معجزاً برأسه . وزد
على هذا أنه باق مابق الدهر بخلاف معجزات سائر الانبياء

فإنها انقرضت لم يبق منها شيء . واذ قد علمت أنه عليه السلام
 مستجمع لجميع الفضائل آخذ بأذمتها . وأن منصبه عند الله تعالى
 أعلى وأرفع من غيره . ومعجزاته أبقي من معجزات من عداه .
 وقومه أكثر . ودولته أوفر . فلا يسمع سوى الإيقان بأنه
 أفضل المخلوقات على الإطلاق وأخص من بينهم الرسل عليهم
 السلام وقد فضّل الله بعضهم على بعض فقال عز من قائل
 (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله
 ورفع بعضهم درجات) فتدبره وكن من الشاكرين



❦ نعمة الباب . المعجزة . وما مثلاً ❦

المعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بدعوى
 الرسالة والتبليغ . وهي لا تؤخذ بالتعليم . وقد خلقها الله تعالى
 على أيدي الرسل خاصة وجعلها نازلة منزلة قوله صدق عبدي
 في كل ما يبلغ عني : ومثلها الكرامة التي يخلقها الله تعالى على
 أيدي أوليائه اذ هي امر خارق للعادة لا يتلقى بالتعليم الا أنه غير
 مقرون بدعوى رسالة أو تبليغ . وقد اختلفت علماء التوحيد في

وقوعها فقال قوم بعدم جوازه واحتجوا لذلك بانها توقع الشبهة في المعجزة . ولا يخفناك بطلان هذا الاحتجاج فان المعجزة لا تظهر الا مقرونة بدعوى الرسالة ولا بد أن تكتنفها حوادث تميزها عن غيرها بخلاف الكرامة . وقال قوم بجوازه واستدلوا له بما جاء في القرآن من قصة الذي عنده علم الكتاب الواردة في خبر بلقيس من احضاره عرشها قبل ارتداد الطرف وقصة مريم عليها السلام وحضور الرزق لديها وقصة أصحاب الكهف . ولنا في هذا المقام مقال نذكره في غير هذا الكتاب : وكما اختلف العلماء في الجواز فقد اختلفوا قاطبة على عدم وجوب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يدولي معين بعد ظهور الاسلام وعليه فلا يكون منكر صدور أي كرامة من أي ولي كان مبتدعا ما لا عن سواء السبيل ولا مخالفا لشيء من أصول الدين

✽ الايمان باليوم الآخر ✽

اليوم الآخر هو يوم القيامة وأوله من وقت الحشر وينتهي بدخول الطائمين الجنة والعاصين النار ويجب التصديق

به وبما يشتمل عليه وما يسبقه من العلامات الصادقة التي أخبر
 بها الكتاب والرسول كظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام
 وطلوع الشمس من مغربها . وما يتقدمه من مثل قبض
 الأرواح . فان الانسان متى انقضى أجله قبضت روحه
 وأخرجت من مقرها وقايضها وقتئذ ملك من الملائكة يسمى
 عزرائيل والنفخ في الصور النفخة الاولى التي يميت الله بها
 أهل الارض والسماوات . كما يجب التصديق بالنفخة الثانية التي
 يبعث الله بها الموتى من قبورهم ويحشرهم في الموقف الذي يوقف
 فيه لفصل القضاء واجراء الحساب . والنافخ في المرتين ملك
 يسمى اسرافيل . وأحوال القبر من فتنه وعذابه ونعيمه فان
 الناس يفتنون في قبورهم فيسأل الواحد في قبره من ربك ومن
 نبيك (فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) والسائل منكر
 ونكير من الملائكة . وحكمة السؤال ظهور العاصي والمطيع
 لدى الملائكة وبعد هذا إما عذاب ويكون بالآلام حسية
 وأما نعيم الى يوم القيامة : ولا يقال ان الميت جماد لا حياة له
 ولا ادراك فتعذيبه وتنعيمه محال . لما أنه يجوز أن يخلق الله

تعالى في جميع أجزائه أو في بعضها نوعاً من الحياة قدر ما يدرك
 ألم العذاب أو لذة التنعيم . وهذا لا يستلزم إعادة الروح إلى بدنه
 ولا أن يتحرك ويضطرب . أو يرى أثر العذاب عليه . إذ
 ليست هذه من لوازم الألم واللذة : حتى أن الغريق في الماء
 والمأكول في بطون الحيوانات والمصلوب في الهواء يمكن أن
 يعذب وأن ينعم وإن لم نطلع على تعذيبه وتنعيمه . ومن أطلق
 نظره العنان في عجائب ملك الله وملكوته وغرائب آثار قدرته
 لا يرى ذلك على الله بعيداً فضلاً عن أن يراه مستحيلاً : ثم
 تعود الأرواح في الأجساد . فتقوم القيامة التي أخبر الله بها
 في كتابه . وتنصب الموازين فيوزن فيها ما يشاء الله أن يزنه
 (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
 فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) . واختلف
 في كيفية الوزن والجمهور على أن صحائف الأعمال هي التي توزن
 بميزان له لسان وكفتان (على صورة ميزان الدنيا) تنظر إليه
 الخلائق اظهار اللامعة وقطعاً للممذرة كما يسألهم عن أعمالهم
 فتعترف بها السننهم وجوارحهم وتشهد عليهم الملائكة والأنبياء

وكما ثبت في صحائفهم فيقرأونها في موقف الحساب ويؤيد هذا القول حديث البطاقة المشهورة . وقيل ان الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصورة عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصورة جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى أن لذنوب والمعاصي نجيم هناك وتتصور بصورة مخصوصة تزعج منها النفوس . ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان . وقيل الميزان عبارة عن القضاء السوس والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على أن استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في العرف واللغة بطريق الكناية . قالوا ان الوزن يراد به التوصل الى معرفة مقادير الاشياء ومقادير أعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها أعراض قد فئت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وهو وجيه . وتشر الكتب التي فيها الأعمال فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره قال تعالى (وكل انسان أئزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة

كتابا يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
 حسيباً) وتحاسب العباد مؤمنين وكفاراً الآن حساب الكفار
 ليس كحساب المؤمنين الذين يوزن ما لهم من الحسنات
 والسيئات اذ لا حسنات لهم وإنما تعد أعمالهم ونحصر ليعامل
 كل بما جنت يده : ويمر بهم على الصراط وهو الجسر
 المنصوب على متن جهنم ويختلف المارون عليه فمنهم المسرع
 ومنهم المبطىء . وأنكر المعتزلة كونه جسراً حسياً وذهبوا الى
 أنه عبارة عن طريق الحق والدين القويم والعدل في الاخلاق .
 ويؤيد قولنا صريح الكتاب والسنة والاولى بنا عدم التعمق
 في البحث عن حقيقة الصراط والميزان ونحوها مما لا اتصل
 اليه عقولنا القاصرة ويكفي التسليم بها والالتقياد لما نطقت به
 نصوص شريعتنا الغراء

﴿ إنبات المعاد وكيفية المعاد ﴾

اتفقت كلمة المحققين من الملمين وكثير من الفلاسفة على
 أن المعاد (بفتح الميم) حق لانه من الممكنات فان المعاد (بضم

الميم) وهو الانسان إما أن يكون عبارة عن النفس أو عن
 الجسد كما تقدم في (التمهيد) فإن كان الأول فحيث كان تعلقها بالجسد
 في المرة الاولى جائزاً كان كذلك في المرة الثانية سواء قلنا انها جوهر
 مجرد عن المادة كما جرينا عليه أولاً أو جسم لطيف مصون عن
 التحال والتبدل. وإن كان الثاني فحيث كان تألف الجسم بتلك
 الاجزاء على الوجه المخصوص ممكناً في المرة الاولى فيكون في
 الثانية كذلك : والله سبحانه العالم بجميع الجزئيات والاجزاء
 لا يعجز عن تمييز بعضها عن بعض وإن اختلطت أجزاؤه
 الانسان بأجزاء التراب والبحار ونحوها وهو تعالى القادر
 المختار وقدرته عامة لسائر الممكنات . فثبت أن الحشر والنشر
 ممكن في نفسه وإذا ثبت الامكان ودل للدليل على صدق
 الانبياء القاطعين بوقوعه كان من الواجب علينا القطع بذلك :
 ولندكر لك من الأدلة الدالة على إثبات المعاد ما تقر به الاعين
 وتنقاد له العقول . فنقول ثبت لك مما تقدم أن الله تعالى هو
 العالم الحكيم القادر على ما يشاء المختار فيما يفعل ولا يجوز ممن
 شأنه وضع الاشياء في محالها حسب علمه وحكمته أن يهمل

عبيده ويتركهم سدى أى فيستوى فيهم الخبيث والطيب
والعاصي والمطيع ويجوز لهم أن يكفروا به ويكذبوا عليه ويأكلوا
نعمته ويجحدوا ربوبيته ويجعلوا له أنداداً . اذ بداهة العقل تحكم
بأن ذلك لا يليق الا بالسفيه الجاهل البعيد عن الحكمة القريب
من العبث . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وحينئذ فنحكم بان
لله تعالى أمراً ونهياً وتكليفاً وحداً محدوداً ولا يجوز أن
يكون أمره ونهيه بدون وعد ووعد لانه لا فائدة حينئذ
للتكاليف فتكون من العشيئات التي لا تجوز . فثبت أنه لا بد
من وعد ووعد ولا يجوز أن لا يفي بوعد ولا بوعيد والا
فلا فائدة فيهما حينئذ لعدم الوثوق بهما . فثبت الثوب والعقاب
ولا يكونان الا في الاخرى لما أننا نظرنا فوجدناها غير
حاصلين في الدنيا . اذاً فلا بد من بحث وحشر بعد الموت
ليتوصل المحسن الى ثواب احسانه والمسيء الى عقابه اذمالا يتم
الواجب الا به فهو واجب . فهذه مقدمات يتعلق بعضها
ببعض متى صبح البعض صبح الكل ومنى فسد البعض فسد
الكل : وقد أنكر المماد كثير من الطبيعيين والكفار وذلك

ليس الا لاهلهم التفكير بحقائق الاشياء وتركهم التدبر في
 ملكوت السموات والارض واشتغالهم بأوهام لا طائل تحتها
 وتراها لا ترجع عليهم الا بالدمار . ولو أطلقوا للفكر العنان
 ونظروا نظر متدبر في أجزاء العالم لعلموا أن أفضلها ذوات
 الأرواح وأفضل ذوات الأرواح ذوات الإرادة والاختيار في
 هذا الوجود وأفضل ذوى الإرادة والاختيار من ينظر في
 العواقب وهو ليس الا الانسان اذ النظر فيها من خاصياته لا غير
 والله سبحانه لم يجعل له هذه الخاصية الا لأمر جمعه له في اليوم
 الآخر ذلك اليوم الموعود والا كان وجود هذه القوة فيه باطلا
 فلو لم يكن للانسان عاقبة ينتهي اليها غير هذه الحياة المملوءة هما
 ونصبا وحزنا وتعبا ولا يكون بعدها حال مغبوبة . لكان أخس
 حيوان أحسن حالا من الانسان فيقتضى أن تكون حكم الله
 تعالى وبدائمه التي أظهرها في الانسان عبثا . اذ نقض تلك البدائع
 الربانية وهمهم هاتيك الحكيم المودعة فيه من غير معنى سوى
 ما تشاركه فيه البهائم من الاكل والشرب والفساد . سفه (كالتي
 نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

هذا وليكن من المعلوم لك أن الواجب علينا معشر المكافين
 الاعتقاد بحصول كل من البعث والاعادة وأن ذلك يحصل
 على وجه لا يستلزم محالاً عقلياً والله أعلم بهذه الكيفية ولا يازم
 لصحة الايمان بيان تلك الكيفية بل يكفي تفويض العلم بها
 الى الله ولكن لا مانع من أن نأتى على (كلمة موجزة) في توضيحها
 مما ذكره بعض المحققين حفظاً على أفكار القاصرين من
 الاضطراب واقناعاً لمن قفل الله على بصائرهم فضلوها عن سواء
 السبيل . فنقول ان المعاد من الجسم جميع أجزائه الاصلية . أي
 الباقية من أول العمر الى آخره . لا الاجزاء الفضلية . أي التي
 تتكون في الجسم من الاغذية ثم تتحلل ويخلفها غيرها وهكذا
 ولا مانع من أن الله تعالى يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان
 بعد موته من التفرق ومن زوال صورتها ومن دخولها في
 أجزاء أصلية لحيوان آخرياً كل انسانا وان دخلت في تركيب
 أجزاء فضلية لذلك الحيوان فتتفصل عنها عند انحلالها بموت
 ذلك الحيوان . ثم عند الاعادة والبعث يعيد الله تعالى تعلق
 الروح بها ويضم اليها أجزاء فضيلة سواء كانت هذه عين ما

كانت قبل الموت أو غيرها ويكون الاحساس بالتنعيم أو
 بالتعذيب للروح ولهذه الاجزاء الاصلية ويصدق على هذه
 الكيفية أنها إعادة اذ قد أعيد تماق الروح بالاجزاء الاصلية
 بعد أن فارقتها وأعيد لهذه الاجزاء الاصلية الحياة وأعيدت
 اليها أجزاء فضلية لا تتوقف صحة الاعادة على اعادة باعياتها
 وعلى هذا فلا يقال . ان الانسان المنعم أو الممذب غير الذي كان
 قبل الموت . ولا أن الروحين تتعلقان بجسد واحد فيما اذا أكل
 انسان آخر وصار بالاغتناء واحدا . ولا أن مادة واحدة حاصلة
 لاناس كثيرين حيث ان المشاهد على ظاهري الارض أجزاء
 جثث الموتى القديمة وقد زرع في الارض زروع كثيرة واغتذا
 منها الناس وانعقد ذلك في الابدان لحما ودماء . ولا نحو ذلك مما
 أورده منكرو البعث والاعادة على القائلين بهما . بل الاجزاء
 الاصلية التي كانت مع الروح المتعلقة بها قبل الموت انسانا
 هي بعينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث والاعادة ذلك
 الانسان بعينه . والله سبحانه مع سعة علمه وعظمة قدرته
 المبرهن عليهما بمشاهدتنا غرائب المصنوعات وبدائع الافعال

ودقائق الاعمال لا يبعد عليه أمر البعث على كيفية الاستازم محالا . ولا تقتضى إشكالا . سواء كان بلا نواميس أو بها وعدم احساسنا بها لا يستازم عدمها إذ يحتمل أننا نشاهد تفرق الاجزاء الفضلية ولا نشاهد تفرق الاصلية إما لدقتها وللطافتها كمادة الهواء أو الأثير الذي يقولون به من أنه مادة لطيفة ماثلة الكون لا ترى كما تقدم وإما لغير ذلك . وكم عوالم لم تنزل في حيز الخفاء لا نحس بها ولا مانع من أن تكون هذه من هذا القبيل والله تعالى أعلم فتدبر هذا المقام فانه جليل

✽ الايمان بالقدر ✽

الايمان بالقدر على درجتين الاولى الايمان بان الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والآجال ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه كما قال سبحانه (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب . ان ذلك على الله

يسير) وقال (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسهم
 الا في كتاب من قبل أن نبرأها) . وهذا القدر قد ينكره
 غلاة القدرية مجوس هذه الامة فانهم يقولون ان العبد خالق
 لافعاله خيرا وشرها وليس لله تعالى دخل فيها وانما خيره في
 أى فعل من الافعال . وبالله عجب كيف يقولون ان الخير للعبد
 مع أنهم يعيشون في هذه الحياة جبراً لانهم ولدوا بدون
 اختيارهم ونموا بغير صنعهم ولا يزالون لا يستشارون في
 حفظ حياتهم أو اعدامها . واذا كانت عيشتهم جبرية وكل
 يحس في نفسه أنه مصرف بقوة أعلى من قوته وهو في يومه
 لا يعلم ما يكون في غده . بل هو في عمله المشتغل به لا يأمن
 أن يعرض عليه ما يمنعه من اتمامه . بل هو قد يريد إرضاء خليله
 فيغضبه . وقد يطلب كسب شيء فيفوته . وربما سعى الى منجاة
 فسقط في مهلكة . بل هو في تناول شربة من ماء أو لقمة من
 غذاء على خطر أن ينقص بها فيموت . وزد على هذا أنه لا يزال
 يرمى بصدمات الفواعل التي قد يسمونها بالقوى الطبيعية ولا
 تزال تتقلب عليه أدوار الحياة ويعنى بموارض الأيام حتى

تنتهي به فساورها الى الموت كمن يرمى بالحجارة أو يضرب
حتى يموت . فكيف مع شهود هذه الحال من أنفسهم ينكرون
القدر الالهي ويقولون الخيرة للعبد في أحواله وأعماله . وإنا
لولا خوف الاطالة لفندنا أدلتهم تفنيداً ولكن فيما ذكرناه
الكفاية لمن يعي نواميس الدين . وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة
الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة . وعليه فالإيمان به هو الإيمان
بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه سبحانه على كل شيء
قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الارض
والسمااء الا الله خالقه لا خالق غيره ولا رب سواه وما من
حركة ولا سكوت ولا خير ولا شر الا بمشيئته تعالى .
لا يكون في ملكه الا ما يشاء . وهذا القدر يكذب به عامة
القدرية ويغلوفيه قوم من أهل الاثبات حتى يسابوا من العبد
قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها
ومصالحها . وأمثال هؤلاء يكذبهم صريح الكتاب لذلك لا
ينبغي الرد عليهم بشيء

﴿ قدرة العبد وما لها من التأثير الالهي ﴾

ليكن في علمك أنه يجب على كل من آمن بالله تعالى
ورسله أن يعتقد أن جميع أعماله العقلية والجسمانية . بل حوادث
الكون بأسرها مستندة الى الحق سبحانه مكون الكائنات
يصرفها على مقتضى علمه وإرادته . لما أن قدرته أسمى وأعظم
من قوي الممكنات أجمع . ولكن مع هذا ينبغي أن يلاحظ
أنه في أعماله الاختيارية ذو قدرة خلقها الله تعالى : اذ يشهد
سليم العقل والحواس من نفسه أنه مدرك لعمله الاختياري
يزنه بعقله ويقدره بإرادته ثم يصدره بقدرة أودعها الله
فيه . وهي مؤثرة بأذنه تعالى فما شاء سبحانه كان وما لم يشأ لم
يكن : لا أنه لا قدرة له أصلاً كما تقول الجبرية ولا أن له
قدرة غير مؤثرة كما هو المشهور من مذهب الاشاعرة ولا
أن له قدرة مؤثرة بنفسها يفعل ما لا يشاء الله تعالى كما تقول
القدرية ومن شا كلهم : ومن نظر ملي نظر متفكر في قوله
تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

وقوله سبحانه (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم
 حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقوله عز من قائل (لها ما كسبت
 وعليها ما اكتسبت) فلا يسمه سوى الاعتراف بتأثير قدرة
 العبد . اذ يعرف من هذه الآيات ان الله تعالى لو لم يجعل للعبد
 قدرة مؤثرة لما نسب التغيير والكسب اليه : وهذا ما أدين
 الله عليه . اذ عليه قامت الشرائع وبه استقامت التكاليف ومن
 أنكره فقد أنكر عقله الذي أيد به الله بروح من عنده وشرفه
 بالخطاب في أوامره ونواهيه : ولا يقال يلزم من الاعتقاد
 بكون قدرة العبد مؤثرة في فعله الاختياري الاشراك بالله
 تعالى كما ادعاه بعض الجهمية في الدين . لما نقول ان تأثيرها فيما
 تؤثر فيه ليس الا بخلق الله اياها مؤثرة ولهذا قلنا فيما سبق
 (باذنه تعالى) لا لذاتها من دون أن يخلقها كذلك إذ لا يقول به
 أحد يميز بين الغث والسمين . وعليه فلا يلزم الاشراك
 الذي ادعاه من لا يعرف معناه الذي هو اعتقاد أن لغير الله
 سبحانه أثرا فوق ما وهبه الله تعالى من الاسباب الظاهرة
 وأن شئ من الاشياء ساطانا على ما خرج عن قدرة المخلوقين

• وجلة القول أن للعبد قدرة بها يحصل ما يشاء تحصيله من
الافعال الاختيارية غير أن المرجع في ذلك قدرة الله تعالى التي
من آثارها ما يحول بين العبد وبين انفاذ ما يريد . اذ هي
المرجع لجميع الكائنات الظاهرية والباطنية . وهذا ما نطق
به شريعتنا الفراء وأيده العقل السليم . لذلك كان كل من
أنكر شيئاً منه منكراً كان الايمان من نفسه وهو عقله . بل
بعد انكاره ذلك مساوياً لانكار وجوده في مجافاته لبداهة
العقل : هذا وقد بحث الباحثون قديماً وحديثاً في التوفيق
بين ما قامت عليه الادلة من احاطة علمه تعالى ولرادته بجميع
الاشياء جزئياتها وكلياتها وبين ما تشهد به بداهة العقل من
عمل العبد المختار فيما وقع عليه الاختيار . وهو مما نهانا عنه
الشرع الشريف فلا يجوز الخوض في مثله إذ لا تصل اليه
العقول ولهذا لم يزالوا وقوا حيث ابتدءوا . نعم وصلوا الى
تفريق الكلمة وتشيت الشمل . أعاذنا الله من قوم لا يفقهون



﴿ الدين الاسلامي وتفسير آية لا كراه في الدين ﴾

قررت فلاسفة العلم قديما وحديثا ممن قذف الله في قلوبهم نور الهداية . أن دين الاسلام هو دين الحضارة والمدنية دين العلوم والمعارف لا يدعو أحدا مالا الى ما يهذب الاخلاق بحكمته البالغة ويمتع الارواح بشذى الآداب . اذ هو الآية التي أسسها الله تعالى على دعائم العلم والمعرفة حتى أصبحت ذات أصول موطدة وقواعد ممهدة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . أصول لا تخرج عن دائرة العقل ولا تنبو عن محور الذوق الأدبي . وقواعد أيدها البرهان بما يسترق الاثمة أو يكاد : اذا أنت نظرت الى مغذاها ورميت الى ترمي اليه كيفما تسير وأنى تنجبه . فلا يسمعك سوى الايقان بأنها الدستور الوحيد الذي عليه مدار النجاة في هذه الدار وما يتبعها من الاخرى . والحكمة التي بها قوام التقدم والارتقاء : كيف لا وقد قام الكثير من الفلاسفة الأقدمين بمقتضيات هذا الدين وواجباته فكانوا باباعه في الصف الاول من رجال

الأفكار : لذلك اقتفت آثارهم اليوم حكماء الغرب تلك
 الفلاسفة المخترعة تارة والمكتشفة أخرى فكان الواحد
 منهم بذلك بين ظهرائي بلاده كأنه الجوهر الفرد والآية
 الكبرى مع أنه ما مهده ما مهده الا على حسب تمهيد
 المتقدمين المعترفين بفضيلة هذا الدين الا قوم الذي لا ينسخ
 شرعه الى آخر الزمان ولا يرفع بشرع سواه . وسيدنا عيسى
 عليه السلام عند نزوله الى الارض في آخر الزمان انما يحكم
 بشرع ذلك الدين لا بشرع جديد . وعدم قبوله الجزية هو
 من جملة ذلك الدين لأن غاية قبولها الى نزول عيسى .
 وقد انعقد الاجماع على أنه ناسخ لا كثر أحكام الشرائع
 المتقدمة غير العقائد منها كالإيمان بالله وحده وملائكته وكتبه
 ورسله واليوم الآخر اذ هي ثابتة في سائر الشرائع . وحكمة
 نسخ شريعة بأخرى هي اختلاف المصالح بحسب الأزمنة
 مثلا المصلحة في زمن الأمم السابقة اقتضت تكليفهم بشرائعهم
 والمصلحة في زماننا الى آخر الدهر اقتضت تكليفنا بشرعنا .
 وبهذا تسقط شبهة من يقول انه يلزم على القول بالنسخ ظهور

مصلحة كانت خفية على الله تعالى . اذ يقال له ان الله عالم من
 الازل بمصلحة كل أمة وزمانها فرتب قديماً لكل أمة شريعة
 وأرسل بكل رسولا وجعل المتأخرة ناسخة للمتقدمة وعلى
 هذا فلا خفاء على الله : واعلم أن الله تعالى ما بنى أمر هذا
 الدين المتين على إكراه الناس عليه بأن يخلقه لهم ضروريا من
 دون كسب ولا بأن يقبله منهم وقد فعلوه كرها وإنما بناء على
 الكسب والاختيار والنظر في الأدلة البينة والبراهين الحقة
 التي يتبين بها الرشد من النفي ولذلك قال سبحانه (لا إكراه في
 الدين قد تبين الرشد من الغي) أي لم يجر الله أمر الإيمان على
 الجبر والتقسر ولكن على التمكين والاختيار مثله . قوله (ولو شاء
 ربك لا آمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس
 حتى يكونوا مؤمنين) أي لو شاء لتسرعهم على الإيمان ولكنه
 لم يفعل وإنما بنى أمره على النظر في البراهين وعلى هذا تكون
 آية (لا إكراه في الدين) خبيراً من الأخبار لا حكماً من
 الأحكام . وقد اختلف الكثير من العلماء في تأويلها . فمنهم من
 قال إنها نزلت في قوم هودوا أولادهم أو نصرهم قبل الإسلام

فلما جاء النبي بهذا الدين أرادوا إكراههم عليه فهاجم الله عن ذلك حتى يختاروا بأنفسهم الدخول فيه . ومنهم من قال أنها نزلت في الحصين من بني سالم بن عوف من الانصار وقد كان له ولدان يدينان بدين النصرانية وهو من المسلمين فقال للنبي عليه السلام ألا أستكرهما فانها أيا الا النصرانية فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسخت بآية القتال في سورة براءة . ولما أن رأى بعض أصدقائنا الفضلاء التصريح بمثل هذه الاختلافات في أكثر كتب التفسير طلب مني بيان القول الحق قبل شروعي بتأليف هذا الكتاب وقد أجبتهم وقتئذ بجوابين . نرى من الفائدة ذكرها فنقول . محصل الأول أن أهل الكتاب اذا دفعوا الجزية لا يكره أحد منهم على الدخول في هذا الدين بل يبقى على دينه والحالة كذلك وربما نزلت هذه الآية في قوم مخصوصين . ثم بالتنقيب في كتب التفسير العالية وجدت البعض يقول والله الحمد إن هذه الآية نزلت في خاص من الكفار ولم ينسخ منها شيء لما روى عن الضحاك أنه قال فيها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل جزيرة العرب من

أهل الاوثان فلم يقبل منهم الا التوحيد أو السيف ثم أمر
 فيمن سوامم بقبول الجزية منهم فقال الله تعالى لا اكره في
 الدين الآية . وماروي عن قتادة والواقدي وغيرهما من قولهم
 إنه لا اكره في الدين بعد اسلام العرب اذا قبلوا الجزية . وذلك
 أن العرب أمة أمية لم يكن لهم دين ولا كتاب فلم يقبل منهم الا
 الاسلام أو السيف وأكرهوا على الاسلام ولم يقبل منهم الجزية
 فلما أسلموا ولم يبق أحد منهم الا ودخل فيه طوعاً أو كرهاً أنزل
 الله تلك الآية . فأمر أن يقاتل أهل الكفر على أن يسلموا أو
 يقرروا بالجزية فن أقربها خلى وشأنه ولم يكره على الاسلام . وعلى
 هذا تكون الآية حكماً من الاحكام لا خبراً من الأخبار
 ويكون النفي فيها بمعنى النهي أي لا تكرهوا من أبيح لكم
 أخذ الجزية منه على الدخول فيه . والى هذا القول الناطق بعدم
 النسخ ما لبعض المحققين وقال انه الأجدر بالقبول لما أن
 الناسخ غير كائن فاسخاً الا ما نفي حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما
 فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي وباطنه الخصوص
 فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل واذا كان الامر كذلك . وكان

غير مستحيل أن يقال لا إكراه لاحد ممن أخذت منهم الجزية في الدين ولم يكن في الآية دليل على تأويلها بغير ذلك وكان قد نقل الكثير من المسلمين عن النبي عليه السلام أنه أكره قوما على الاسلام وحكم بقتلهم ان أمتنعوا عنه كمبدة الاوثان من مشركي العرب وانه لم يكره آخرين عليه بقبول الجزية كأهل الكتاب . كان بيننا بذلك أن معنى الآية لا إكراه في الدين لاحد ممن حل قبول الجزية منه بإدائه إياها ولا معنى لقول من يقول انها منسوخة الحكم بالاذن بالمحاربة . وما روى من أنها نزلت في قوم أحبوا إكراه أولادهم على الدخول فيه فغير مدفوعة صحته . ثم قال وقد تنزل الآية في أمر خاص ثم يكون حكمها عاما في كل ما يجانس المعنى الذي أنزلت فيه فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على ما قيل كانوا يدينون بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الاسلام لهم فنهى الله تعالى عن إكراههم على الاسلام فأنزل بالنهي آية يعم حكمها كل من كان مثلهم ممن كان على دين يجوز أخذ الجزية من أهله والافرار عليه . . ومحصل الجواب الثاني أن الآية تنهى جليا

عن أن هذا الدين الحق لا يكره انساناً ما على القيام بما لا
تستطيعه قواه ولا يجدر بمثله التكليف به . لما أنه دين رشد
وآداب لا دين غي وضلال كما قال سبحانه (قد تبين الرشد
من الغي) وإنما قلت بما لا تستطيعه قواه لان الله لا يكلف
أحداً بما ليس في وسعه كما عليه الكثير . ويرشد لذلك قوله في
آخر السورة (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) واذا كان الحق
سبحانه لا يكلف زيادة عما في الوسع والطاقة فبالطبع لا يكره
دينه أحداً على ما ليس في طاقته وامكانه وحينئذ فيصح أن
يقال إن دين الاسلام لا اكره فيه بهذا المعنى . ولا بأس بهذا
التأويل المنظور فيه الى مطابقة الآي بعضها مع بعض من
وجوه منها التعبير بلفظ في . وابقاؤها على الظرفية المعنوية
مادامت غير متعذرة أولى من جعلها بمعنى حرف آخر اذ يحوجنا
ذلك الى ما لا يحتاج اليه صريح الآية . ولكن ما جنحت اليه
أولاً وجريت عليه بعد قولي (واعلم أن الله تعالى ما بنى أمر هذا
الدين المتين) الى قولي (وقد اختلف الكثير) الى آخره . أولى
وأسلم . وقال الزجاج وغيره لا اكره في هذه الآية مأخوذ

من قول القائل أكرهت الرجل اذا نسبته الى الكره كما يقال
 أكرهته وأفـسـقته اذا نسبته الى الكفر والفسق ومعنى
 الآية لا تقولوا لمن دخل بعد الحرب في الاسلام مكرهاً انه
 دخل مكرهاً لانه اذا رضى به بعد الحرب وصح اسلامه
 فليس بمكره أي لا تنسبوه الى الكره يدل عليه قوله تعالى
 (ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلم لست مؤمناً) اه فتأمله وقوله
 (قد تبين الرشد من الغي) استئناف تعليلي صدر بكلمة
 التحقيق لزيادة تقرير مضمونها كما في قوله (قد بلغت من لدني
 عذراً) أي اذ قد تبين الرشد من الغي وظهر الحق من الباطل
 كيف ولا يتبين هذا من ذلك وقد تكفل بالبيان بوحى من
 الله تعالى ذلك الرسول الاعظم الذي قال الله فيه (ما ضل
 صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي بوحى
 علمه شديد القوى) أدخلنا الله في شفاعته وأولانا رضاه وفي
 هذا كفاية فتدبره بانصاف وكن من الشاكرين



✽ ما ينبغي الوقوف عليه مما جاء به الدين الاسلامي ✽

مما ينبغي الوقوف عليه والاعتقاد به حسبما جاء به الدين الاسلامي . ان الله خلق سبع سموات طباقا ومن أعلاها جسما عظيما يسمى بالكروبي ومن فوقه آخر يسمى بالعرش : وأنه خلق جسمين آخرين يدعى أحدهما بالالوح وثانيهما بالقلم لتسطير ما في العالم لحكمة يعلمها سبحانه لا لداع يدعو اليه . وقد نطقت بذلك نصوص شريعتنا الفراء . ولا يفرك انكار متأخري الفلاسفة من الفلكيين لذلك لعدم مشاهدتهم هذه الاشياء وعدم رؤيتهم أجسامها بالنظارات المجسمة . اذ عدم الرؤية لا يستلزم عدم الوجود على أن عدمها لعله لشدة بعدها عن الارض بمسافات بعيدة لا تصلح النظارات معها لان تحقق جسميتها : وأنه خلق الكواكب وجعلها زينة السماء . وحفظا من الشياطين . ورجوما لهم لأنهم يصعدون الى قرب السماء لا ستراق السمع من الملائكة . وقد اختلف العلماء في محلها فمنهم من قال انها مركزوزة في نفس السماء وعليه

فيكون معنى كونها زينة السماء الدنيا ظاهراً . ومنهم من قال
 انها قائمة في الفضاء بناموس الجاذبية بين السماء والارض
 وعليه فيكون معنى كونها زينة السماء أنها زينتها بحسب مرأى
 الرائي وان كانت دونها : وأنه خلق سبع أرضين وقد اختلف
 العلماء أيضا في المراد من ذلك فقال بعضهم المراد بها أقاليم
 الأرض السبعة وقال آخرون المراد طبقاتها المتراكمة على بعضها
 وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كل أرض منها
 كأرضنا وفيها عالم كالمنا : واعلم أن الأرض كروية وأن الشمس
 لا تسير حولها وانما لها دورة بطيئة على محورها والأرض هي
 التي تدور دورتين احدهما سنوية حول الشمس تتولد منها الفصول
 الاربعة . والاخرى يومية على محورها تتولد منها اوقات الليل
 والنهار . وعلى هذا فالمراد من جرى الشمس في قوله تعالى
 (والشمس تجري لمستقر لها) دورانها على محورها وانها تجري
 الى استقرار لها بعد ذلك عند ما تنقضي عوالم الأرض والسماء
 بمجيء اليوم الآخر . وذهب الكثير الى أنها بسيطة لقوله
 تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) والحق الاول وعليه فالمراد

من هذه الآية أنه تعالى جعلها صالحاً لسكنى الحيوانات بعد
 أن لم تكن كذلك : وأنه خلق داراً تسمى الجنة أعدها لنعيم
 السعداء من خلقه قال تعالى (فأما الذين سعدوا ففي الجنة
 خالدين فيها ما دامت السموات والارض) وداراً أخرى
 تسمى النار أعدها لعذاب الأشقياء من عباده قال تعالى (وأما
 الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين ما دامت
 السموات والارض) قيل سماه الجنة والنار وأرضهما وقيل غير
 ذلك : وبهذين الآيتين تعلم أنهما دائمتان لا يطرأ عليها عدم
 مستمر ولا يمتريهما وأهلها فناء وما ذهب إليه بعض المبتدعة
 من أنهما تفتيان وتفتن أهلها فمخالف للكتاب والسنة والاجماع :
 هذا والادلة على وجودهما اليوم كثيرة منها قوله تعالى في
 الجنة (أعدت للمتقين) وقوله في النار (أعدت للكافرين)
 ولا حاجة لتأويل أعدت (يستعد) إذ لا ضرورة في العدول عن
 الظاهر وأما قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
 لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً)
 فيحتمل الحال والاستقبال وبهذا يبطل ما زعمه المعتزلة

من أنهما يخلقان يوم الجزاء . ولنا في هذا المقام وفي اسكان
آدم وحواء عليهما السلام (الجنة) كلام نستوفيه في غير هذا
الكتاب . هذا وقد بقي أشياء كثيرة ينبغي الاعتقاد بها
والوقوف عايتها ولولا ضيق الوقت لسردناها عليك ولكن
نذكر لك مايفتح به الله علينا فنقول وبالله التوفيق

✽ حوض الرسول وشفاعته وإسراؤه ومعراجة ✽

مما جاء به الدين الاسلامي وينبغي الوقوف عليه والاعتقاد
به أيضاً . أن للنبي عليه السلام حوضاً خصه الله به يوم القيامة
كما قال صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه
(أطرافه) سواء وماؤه أبيض من اللبن . وأنه يشفع في أهل
الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح
وأبراهيم وموسى وعيسى الشفاعة حتى تنتهي إليه . ويشفع
في أهل الجنة أن يدخلوها . وهاتان الشفاعتان خاصتان له .
ويشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها وهذه له ولسائر
النبيين والصدّيقين وغيرهم فيمن استحق دخولها . ويشفع

فيمن دخلها أن يخرج منها . واعلم أن الله تعالى نص على صحة
 الشفاعة وثبوتها في الجملة في القرآن فقال (لا يملكون الشفاعة
 الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وعلى أنها تنفع يوم القيامة
 فقال (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي
 له قولا) فنص سبحانه على أنها تنفع ممن أذن له ورضي قوله
 وأجدر الخلق بذلك نبينا محمد عليه السلام لما ثبت بالبراهين
 القاطعة فيما تقدم أنه أفضل الخلق على الإطلاق . وقال (ولا
 تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال (من ذا الذي يشفع
 عنده الا باذنه . وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
 شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (ما من
 شفيع الا من بعد اذنه) الى غير ذلك من الآيات الدالة على
 صحتها وثبوتها في الجملة وصحت بذلك الاخبار المتواترة المعنى
 المتناصرة بنقل الكواف لها : ثم ان هذه الشفاعة التي أوجبها
 الله تعالى لمن أذن له ورضي قوله . انما هي لذني المسامين كما
 قال عليه السلام . شفاعتى لاهل الكبار من أمتي . وهو
 حديث مشهور تلقته الاخبار بالقبول : هذا وأما مثل قوله

تعالى (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل
 منها شفاعاة) وقوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)
 وقوله (فما تنفعهم شفاعاة الشافعين) فيجب التخصيص فيه
 بالكفار جمعاً بين الأدلة . وبهذا تعلم تفنيده ما ذهبت اليه
 الممتثلة والخوارج . ولنا (رسالة في الشفاعاة والتوسل والزيارة
 والدعاء) بينا فيها ما يدعو اليه الدين القويم . وما ظهورها في
 عالم المطبوعات على الله بعزير : ومنه أن الله تعالى أسرى بذلك
 الرسول الأعظم في ليلة واحدة من المسجد الحرام في (مكة)
 الى المسجد الأقصى في (القدس) قال تعالى (سبحان الذي
 أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى)
 ومن نظر ممي نظر منصف الى سرعة الحركة للأجسام مهما
 بلغت القدر العظيم كالمشتري الذي يجري ثلاثين ألف ميل في
 الساعة الواحدة كما تقدم وعلم أن تلك السرعة من الجائزات
 العقلية الداخلة تحت تصرف القدرة الالهية . فلا يسهه انكار
 (الاسراء) بوجه من الوجوه حتى ولا انكار (المعراج) على
 القول بأنه كان في اليقظة بالجسم الى السماء . وقد ورد في صحيح

الأحاديث أنه تعالى أوصعد النبي في تلك الليلة الى السموات
 العلى ثم أعاده الى مكة في تلك الليلة قبل أن يطلع الفجر . ولنا
 في حقيقة المعراج كلام نذكره في غير هذا المختصر



﴿ معرفة الرسل إجمالاً وتفصيلاً . ونصب الامام ﴾

مما جاء به الدين الاسلامي وينبئ الاعتقاد به والوقوف عليه
 أيضاً وجوب الايمان علينا بجميع الرسل إجمالاً والأحسن أن
 يمسك عن العدد لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم
 من لم نقصص عليك) لكن يجب ذلك تفصيلاً بالرسل
 المذكورين بأسمائهم في القرآن وهم . آدم . ادريس . نوح .
 يونس . هود . الياس . داود . اليسع . لوط . ذوالكفل .
 ذكريا . يحيى . شعيب . صالح . أيوب . هارون . يعقوب .
 يوسف . سليمان . موسى . عيسى . ابراهيم . اسحاق . اسماعيل
 محمد . عليه وعليهم الصلاة والسلام . واعلم أننا ذكرنا لك فيما تقدم
 أن أفضل الرسل والملائكة والناس أجمع نبينا صلى الله عليه
 وسلم . وأما باقي هؤلاء الرسل بالنسبة الى رسل الملائكة فقد

اختلف العلماء في تفضيل أحد الفريقين على الآخر حتى طال
 بينهم النزاع . وهو مما لا يجدى نفعا ولا يرجع بغير الشقاق
 على أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وهو ذو الفضل العظيم
 أما رسل الملائكة فهم أفضل من عامة النوع الانساني بالاجماع
 وعامة النوع الانساني أفضل من عامة الملائكة . لما أن الانسان
 يقوم بعبادة الله تعالى وتحصيل الفضائل والكمالات العلمية
 والعملية مع وجود العلائق والموانع من نحو الشهوة والغضب
 وتوالي الحاجات الشاغلة عن احراز ما تودده النفوس الأبية .
 ولا شك أن القيام بالعبادة وكسب فضائل الأعمال مع ما
 يتراكم من الشواغل والموانع أشق وأدخل في الاخلاص .
 فيكون أفضل كما قال عليه السلام أفضل الأعمال أحزها
 (أشقها) . ومنه نصب الامام فيجب على المسلمين كافة أن
 ينصبوا إماما متفكرا ثابت الجأش . لاقامة الحدود . وسد
 الثغور . وتجهيز الجيوش . وتبديد أوابد البغاة . وقهر
 اللصوص . وقطع المتغلبة . ونزع قطاع الطرق . وهدم مايقع
 بين العباد من المنازعات . وقبول الشهادات القائمة على الحقوق

واقامة الجمع والاعباد . وحسم ما تنازع عليه الناس . ومنع
ما تتسارع اليه ارباب الاغراض . اذ لا يتم جميع ذلك بين
أفراد الامة الاسلامية الا (بامام) يرجع اليه . وفي المهمات يعول
عليه . وقد أجمعت الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك بعد
وفاة النبي الأئمين : ويجب على جميع الرعايا اطاعة إمامهم
ظاهراً وباطناً فيما لا يخالف الدين كما تقدم (في أوامر الله ونواهيهِ)
قال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)
وقد فسر علماء التفسير أولى الأمر بالأمراء والعلماء وقال عليه
السلام من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن يطع الأمير فقد أطاعني وإنما الامام جنة يقاتل من ورأه
ويتقي به . ذكره البخارى في صحيحه : ونصرته على من يسهون
ورأه بالفساد من الأعداء والأضداد : والدعاء له بما توده
الآداب ويطلبه الدين . واني أسأل الحق سبحانه وهو السميع
الحبيب . أن يؤيد بنصر منه وروح من عنده إمامنا أمير المؤمنين
خليفة الرسول الأعظم السلطان الغازي في سبيل الله السلطان
(عبد الحميد خان) اذ هو الخليفة المنصوب لتأييد الحق

ونصرة الاسلام وسائر ما تطلبه الآداب



✽ السؤال يوم القيامة . ومرتكب الذنوب .

والمقتول . والرزق ✽

مما ينبغي الوقوف عليه والاعتقاد به أيضاً أنه تعالى يسأل المؤمنين يوم القيامة قال عز من قائل (لنسألهم أجمعين) وقال عليه السلام : ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره فيقول أتعرف ذنبك كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال تعالى سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته . وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين : ومنه أن الكبائر من الذنوب لا تخرج المؤمن من الإيمان . واطلاق الكثير من الآيات والأحاديث على مرتكبها أنه مؤمن أعظم دليل على ما نقول . ولا تخلده في النار الا اذا فعلها عن استحلال

اذ الاستحلال كفر لما فيه من التكذيب المنافي للإيمان . وبهذا
 تؤول النصوص الدالة على تخليد العصاة في النار مثل قوله
 تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) ولا
 شك أن قاتل المؤمن لاستحلاله قتله أو لكونه مؤمناً لا يكون
 الا كافراً جزاؤه جهنم خالداً فيها : واعلم أن الناس قد انقسموا
 في مرتكب الكبيرة على ثلاثة أقسام . طرفين . ووسط
 (أحد الطرفين) أنه ليس بمؤمن بوجه ما ولا يدخل في عموم
 الأحكام المتعلقة باسم الإيمان ثم من هؤلاء من يقول هو كافر
 كعابد الأوثان والأصنام وهم الخوارج . ومنهم من يقول انه
 ليس مؤمناً ولا كافراً وهذا هو المنزلة بين منزلة الإيمان ومنزلة
 الكفر وهم المعتزلة وهؤلاء يقولون إنه يخلد في النار . وهذا القول
 مخالف . للكتاب أولاً قال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين
 اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا
 التي تبغى) الى قوله (انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم)
 فقد سماهم الله مؤمنين وجعلهم إخوة مع ارتكابهم أفظع
 الكبائر . وللسنة ثانياً اذ قد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر

على أناس في عهد الرسول . ولم يحكم فيهم حكم من كفر بل جلد
 هذا . وقطع هذا . ورجم هذا . وهو في ذلك يستغفر لهم ويقول
 لا تكونوا أعوان الشياطين على أخيكم . وللإجماع ثالثا إذ قد
 أجمعت الأئمة الأعلام على أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة
 بذنوب ولا يخرج من الإسلام بعمل (الطرف الثاني) قول
 من يقول إيمانه باق كما كان لم ينقص منه شيء . بناء على أن
 الإيمان مجرد الاعتقاد فقط وهو لم يتغير . ولا أدري ماذا
 تصنع أصحاب هذا القول في مثل قوله تعالى (إنما المؤمنون
 الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
 في سبيل الله أولئك هم الصادقون) (والقول الوسط) قول
 من قال هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن عاص أو مؤمن
 بإيمانه . فاسق بعصيانه . ويقال ليس بمؤمن حقا وليس بصادق
 الإيمان . وهذا ما تميل إليه النفس . وبه تؤول النصوص الدالة
 على سلب اسم الإيمان عن العصاة . ويؤيد هذا القول قوله
 عليه السلام في الحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود . إذا
 زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة فإذا

خرج من ذلك العمل عاد اليه الايمان . اذ فيه دليل على أن
 الايمان لا يفارقه بالكلية فان الظلة تظل صاحبها وهي مرتبطة به
 نوع ارتباط . هذا ويجوز العفو عن الكبائر أجمع خلا الكبيرة
 المطلقة التي هي الكفر لقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك
 به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وبهذه الآية تعلم جواز العقاب
 على الصغائر فان من لا يشاء أن يغفر له لا يكون مغفورا له
 بالطبع بل يكون معاقبا على ما قدمته يداه : ومنه أن المقتول
 ميت في الوقت الذي قدر الله له وعلم أنه يموت فيه . وأجله
 واحد : . . . انه أن كل شخص لا بد أن يستوفي رزقه الذي قدره
 الله له . . . والرزق اسم لما يسوقه الله سبحانه الى الحيوان فيتناوله
 وهو كما يكون حلالا يكون حراما رزقنا الله الحلال وأبعدنا
 عن الحرام

✽ من الدين معرفة تاريخ حياة الرسول عليه السلام ✽

لما كان من الواجب وجوبا أدبيا معرفة تاريخ حياة
 المصطفى صلى الله عليه وسلم رأيت أن أتم الفائدة لطالبيها

بذكر مجمل ذلك التاريخ مع بيان شئ من شمائل وغزوات ذلك
الرسول وذكر نسبه الشريف فأقول . لما تعلق ارادة الله تعالى
بإيجاد رسوله الأكرم ليكون عليه مدار الحياة في مشارق
الأرض ومغاربها وقوام دعائم العمران الاسلامي في أنحاء
المعمورة . وفق سبحانه بين والده (عبدالله) ووالدته (آمنة)
فصار بينهما اجراء العقد اللازم . وبعد قليل من الزمن دخل
بها في الديار المكية في شعب أبي طالب فحملت به (ص^(١))
وكانت ترى وقتئذ من الآيات الصادقة . ما يشهد له بالرفعة في
مستقبله بين ظهرائي الأمة الاسلامية وينطق بعظيم المكانة
عند مبدعه الذي أيده بروح من عنده وألبسه لباس الوقار .
ويعشر بجليل أعماله التي لا تخرج عن قانون الاخلاق العالية ولا
تنبو عن دستور الذوق السليم . وبعد انتهاء مدة الحمل وضعت
في مكة المكرمة كاملاً مكملًا في خلقة التي أبدعها الله بقدرته
وأودعها من الحكمة تعجز عن ادراكها مدارك الافهام

(١) هذا رمز الى قولي (صلى الله عليه وسلم) فتفطن له في

كل ما سيأتي في هذا الباب من أمثاله اهـ

وما ظهر (ص) للعيان الا وأشرقت شمس الحضارة في
سمائها . وطلعت بدور العمران في أرجائها بعد ما أصبحت محجوبة
عن أعين الناظرين احتجاب المخدرات في الخدور وأقلت أفول
البدور الحقيقية في ليالى المحاق . وقد سمي محمداً إلهاماً من الله
تعالى رجاء أن يحمده وقد حقق سبحانه ذلك الرجاء كيف
وقد اصطفاه من أشرف القبائل علماً وأدباً . وأكرم العشائر
حسباً ونسباً . منتقلاً من أصلاب أشرف الرجال . الى أرحام
شريفات النساء . بعقد النكاح ولم يصبه من سفاح الجاهلية شيء
وقد كان مولده حين طلوع فجر يوم الاثنين تاسع ربيع الاول
من عام الفيل سنة خمسمائة وواحد وسبعين مسيحية : ثم
عرض على كثير من النساء للارضاع حسب عادة العرب
فانهم يرضعون المولود من غير أمه اعتقاداً منهم بان ذلك ادعى
لسمو أفكار الرضيع واحرازه في النجابة مكاناً رفيعاً . وما كان
ممن عرض عليهن سوى الامتناع لفقر أمه وموت أبيه فانه
كان توفي وهو في جنان الأرحام . غير حليلة بنت أبي ذؤيب
السعدية فقد رضيته فأخذته الى بلادها وأقامت به اذ ذاك

أربع سنوات . ثم عادت به الى مكة وسلمته لأمه الأمانة
فقامت بخدمته الى أن توفيت وعمره ست سنوات فأخذ
بتربيته جده عبد المطلب . ثم توفي وعمره ثماني سنوات وقد كان
أوصى بكفالاته الى عمه أبي طالب فاحسن الكفالة وعزز الوصية
وقام بالواجبات نحوه حسبما تشاء القرابة وتوده صلة الأرحام
وكان يحبه حبا شديدا حتى بلغ من حبه له أن لا ينام الا الى
جانبه ولا يخرج الا معه كيفما سار : وهو في تلك المدة مثال
الآداب وعنوان القناعة لا يجنح نحو السفاسف التي تعودها
الأطفال ولا يشتغل بما يحيط بالعواطف الشريفة ويزري بمكارم
الأخلاق . ولما بلغ (ص) اثنتي عشر سنة سافر به عمه الى الشام
في تجارة . فرآه راهب يدعى بحيري فتغرس فيه رقايا في أفكاره
وشأوا أعظيما في مستقبله . وشأنا رفيعا في قومه . وقال لعمه ان
هذا انبي كريم يختاره الله لوجيه . واني لأظنه الذي بشر به
(عيسى) عليه السلام في انجيله فان زمانه قرب كما أخبر به
(دنيال) في نبوته فتحفظ عليه ولا تفارقه خوفا من أن تقتله
جفرة اليهود . فرده أبو طالب الى مكة ثم لما شب تعاطى التجارة

ولم يتعلم علماً ولا سحراً . ولا اجتمع على أحد من الحكماء
والفلاسفة . فهو أُمِّي تربي تربية غيره من أبناء قومه اليتماء الفقراء
يشهد لذلك عدم اتهم قریش له بالقراءة والكتابة (ولا يحط
عدمهما بنبي ألهمه الله علوم الا واين والآخريين) نعم كانوا يقولون
بعد انتشار دعوته وتزييفه ما كانوا عليه من المعتقدات الباطلة
وتسفيه تلك الأحلام . ان (سلمان الفارسي) يعلمه مع أن
سلمان كان فارسياً لا يحسن العربية كما قال تعالى (لسان الذي
يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) على أنها ما
اصطحبها الا بعد انتشار الاسلام . ولما بلغ (ص) العشرين من
عمره وكت اليه خديجة بنت خويلد السفر الى الشام في تجارة
لها مع غلامها ميسرة وكانت موصوفة بالغنى وحسن العقل فقبل
ذلك وسافر ورج . ولما آب الى مكة أخبر ميسرة خديجة بما
شاهده فيه من العفة والأمانة وحسن الاستقامة . فوقع في
قلها حبه فعرضت عليه أن يتزوجها فأجابها بعبارة تشف
عن الآداب وتنبئ عن مكارم الاخلاق . ثم عرض الأمر
على أعمامه فاستحسنوه لما هو معلوم لديهم من أنها من أطهر

المشائر وأطيب الأعراق فذهب (ص) ومعه حمزة بن
 عبد المطلب حتى دخل على عمها عمرو بن أسد وخطبها منه
 فقبل بكل ممنونية وارتياح . ثم اجتمع جميع أعمامه وسائر
 مضر وعقدوا له عليها وكان عمرها وقتئذ أربعين سنة وهو
 في الخامسة والعشرين . فدخل بها وقد رزقه الله منها جميع
 أولاده الا ولده ابراهيم فانه من مارية القبطية ثم توفاهما الحق
 سبحانه قبل الهجرة بثلاث سنين فأف (ص) عليها شديداً
 لما شاهده فيها من الأدب الفطري . والذوق الطبيعي . وما رآه
 من سلوكها مناهج العفة الاسلامية وسبل السداد وطرق
 الثبات . ولما بلغ (ص) الخامسة والثلاثين جددت قريش بناء
 (الكعبة) لتصنع جدرانها بسيل دخلها بعد حريق أصابها من
 تبخيرها وكان (ص) ينقل معهم ما يلزم لذلك من حجارة
 وغيرها فلما وصلوا الى موضع (الحجر الأسود) اختلفوا فيمن
 يضعه حتى كاد أن تقع بينهم الحروب . ثم اتفقوا على أن يضعه
 أول داخل عليهم وكان هو (ص) أول الداخلين فرضوا بوضعه
 له لما يهدون فيه من الصدق والأمانة . وكان يدعي في صغره

بالأمين فوضه بيده الشريفة فاطمات الخواطر وهدأت
 النفوس . ولما قربت أيام الوحي حبيب الله اليه الخلوة فكان
 يختلئ (في غار حراء) ويتعبد فيه حسبما يلهمه الله ثم أتاه الوحي
 على رأس الأربعين . وأول ما بدى به الرؤيا الصادقة في النوم
 وكلما رأى رؤيا جاءت مثل فلق الصبح وبعد مضي مدة من
 الزمن وافاه جبريل عليه السلام وهو في الغار في شهر رمضان
 وقال له . اقرأ فقال ما أنا بقارئ فكررها جبريل مرتين
 ثم قال له في الثالثة (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
 من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان
 ما لم يعلم) فانطلق الى خديجة يرجف فؤاده من هول ما رأى
 مما لا يعرفه من قبل وأخبرها الخبر فسكنت روعه وثبتت
 فؤاده بقولها له . لا تخف ان الله لا ينجزيك أبداً انك تصل
 الرحم وتقرى الضيف وتعين على الشدائد . ثم أخذت بيده
 الى ابن عمها (ورقة بن نوفل) وكان عالماً في قومه واسع الاطلاع
 على كتب الاقدمين . وما أخبرته بما وقع الا ومال الى جانب
 النبي وقال هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى يا ليتني

أكون حياً اذ يخرجك قومك قال أو مخرجي هم فقال نعم لم
يجيء أحد بمثل ما جئت به الا وعاذاه الكثير وإن يدركني
يومك أنصرك نصراً عزيزاً . ثم توفي ودفنه . ودفن عن النبي
الوحي حتى يذهب روعه ويشتاق اليه . ثم أنزل عليه قوله تعالى
(يا أيها المدثر قم فأذر) وبعد ذلك تابع الوحي : وأول
ما فرض عليه من أحكام الاسلام الانذار وبث الدعوة الى
التوحيد وترك عبادة الأوثان فأخذ يدعو سراً من يعرف في
وجهه الامتثال . فتبعته زوجته (خديجة) وعلى بن أبي طالب وزيد
ابن حارثة) ثم عثر عليه عمه (أبو طالب) وهو يصلي مع
(علي) فقال له ما هذا الدين الذي تدين به يا محمد فقال دين الله
والملائكة والمرسلين بعثني الله برسولا الى العباد وأنت أحق
من أبذل له النصيح وأدعوه الى الهدى وأحق من أجابني اليه
ونصرني نصراً مؤزراً . فقال انه لا يمكنني أن أفارق ديني
ولكن لك علي أن لا أخذك ما حييت . ثم أسلم باقي العشرة
المبشرين بالجنة . ثم جاء اليه أمر الله تعالى باظهار الدعوة في
قوله عز من قائل (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)

فقام بجاهر بالدعوة ويقوم فرائض الشرع علانية وقد ترتب على
 ذلك ما ترتب من ايداء الكفار ومعاداة قومه له : لذلك ذهب
 كفار قريش الى عمه أبي طالب يشكون اليه أمره وما هو
 عليه من الدين الذي سفه أحلامهم وضم دياناتهم وأبو طالب
 يذب عنه وفي آخر المرات قالوا له أعطنا محمداً (ص) وخذ
 بدلہ عمارۃ بن الوليد فقال . وهل يجدر بي أن أكفل ابنكم
 وأعطيكم ابني لتقتلوه إن هذا لأمر عجيب . ولما علموا تمضيده
 عمه له وعدم اجابته طلبهم زادوا في ايدائه وايداء من اتبعه حتى
 صار الواحد منهم يجلس في الطرقات يحذر الناس منه . وكلما
 شاع أمره وظهر دينه ازدادوا بغياً وايداء . ثم اجتمعوا وقالوا
 لقومه سلموا لنا أن يقتله واحد من غير قريش ليرتاح الكل
 من خطبه المدهم وكرثه الجلل . ولكم مناديه مضاعفة فامتنع
 كل الامتناع (بنو هاشم وبنو المطلب) وقد كان دعاهم لنصره
 والذب عنه عمه (أبو طالب) فأجابوه غير (أبي لهب) فانه كان
 يجاهر بالعداوة والبغضاء ظلماً واستبداداً : ولما نالت قريش
 منه من الايداء ما نالت خرج (ص) الى الطائف يلتمس

المعونة من بني ثقيف فلم يجد منهم غير البني والعدوان ولكن
 بحزمه وثباته رد الله كيد العدو في نحره فأخذ الدين بالانتشار
 الفائق الحد حتى صار يأخذ بتناصره الصغير والكبير بما لا
 مزيد عليه . لا سيما من بايعوه من الاوس والخزرج على أن
 يعززوه وينصروه ومن اتبعه من الاصحاب والآل ثم في سنة
 اثنتي عشرة من النبوة أمري به ليلا من (المسجد الحرام) الى
 (المسجد الاقصى) في شهر رجب الأغر فأما اذ ذاك بالانبياء
 عليهم السلام وعرج به الى السماء وفي تلك الليلة فرضت عليه
 وعلى أمته (الصلوات الخمس) ولما أصبح أخبر الناس فكذبه
 من كذب وصدقه من صدق . وبعد أن مكث في مكة بعد
 البعثة ثلاث عشرة سنة أذن الله تعالى بالهجرة الى المدينة
 المنورة فهاجر وأقام هناك عشر سنين . ثم توفاه الحق سبحانه
 فيها بعد ما أحرز مقصده ونال مبتغاه وعمره ثلاث وستون
 سنة . ومدة نبوته ورسالته ثلاث وعشرون وفي هذا الكفاية
 ومن أراد بسط المقام فعليه بالمطولات



﴿ شمائله عليه السلام وغزواته ونسبه الشريف ﴾

ليكن في علمك أن شمائله الشريفة كثيرة جداً تكاد أن لا
تحصى ولذا ذكر لك بعضها فنقول كان (ص) عظيماً في نفسه
معظماً في صدور الصدور . لا يستطيع الحارص على ترك تعظيمه
أن لا يعظمه لما أودعه الله سبحانه من عظيم الهيبة ورفيع
الاجلال : حسبك ما كان عليه من جميل الصفات . اذا مشى
رفع رجليه بقوة مع رفق ولين وثبت ووقار . وتواضع
وانكسار . لا كشي المعجب بنفسه . المتكبر على أبناء جنسه .
واذا التفت التفت بكماله . وكان نظره الى الارض أكثر منه
الى السماء . جميل المنظر يتلأأ وجهه نوراً تتلأأ البدر ليلة تمامه
مستدل الخلقه لاسمين ولا نحيف . أطول من المربع
وأقصر من الطويل البائن . عظيم الهامة رجل الشعر أزهر اللون
واسع الجبين أزج الحاجبين بلا قرن أقنى العرنيين له نور يعاوه
يظنه من لم يتأمله أشم . كث اللحية أسيل الخدين ضليع الفم
مفلج الاسنان دقيق المسربة بديع العنق كأنه جيد دمية

في صفاء الفضة صدره وبطنه سواء لا ينتأ أحدهما عن الآخر
 عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين عظيم رءوس العظام
 نير العضو المتجرد عن الشعر أو الثوب . موصول ما بين اللبة
 والسرة بشعر يجري كالخيط عاري للنديين والبطن من
 الشعر مما سوى ذلك . أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى
 الصدر . طويل الزندين واسع الراحة غليظ أصابع السكفين
 والقدمين مرتفع الأطراف بلا أحد يداب ولا انقباض
 معتدل الأخصيين مستوي القدمين لا تكسر فيها ولا
 تقشف ينبو الماء عنها إذا صب عليها . وبالجملة فهو كما قال ناعته
 ما رأيت أجمل ولا أحسن منه حتى كأنه خلق كما يشاء كاملاً
 مكمل لا يدانيه في كماله رسول كما لا يجاريه في سائر صفاته
 انسان . لاسيما في سكينته الباعثة على الهيبة والوقار . وطلاقة
 وجهه الموجبة للمودة والاخلاص وحسن القبول الجالب
 ما نقر من القلوب . ورجاحة عقله وصحة رأيه وصدق
 فراسته . وثباته في الشدائد وصبره على البأساء . وزهده في
 الدنيا إذا ما مال الى غضارتها . ولا جناح لحلاوتها . وتواضعه

وانكساره وخفض جناحه لاصحابه وحلمه وادبه وحفظه
 للعهد. ووفائه بالوعد. اذ كان يرى النقص من أكبر الذنوب
 والاخلاف من أشد العيوب. وحكمته البالغة وعلومه الباهرة
 وهو أمي من أمة أمية كما قلنا أولاً. وحفظه لما أطلعه الله عليه
 من أخبار النبيين وأنباء العالم في الزمن الغابر فلم يجد صغيرة
 منها ولا كبيرة الا أحصاها. تفكره الثاقب وذهنه الحسن
 وإحرازه جوامع الكلم وإحكامه أحكام شرعه الا قوم بأظهر
 دليل وأوضح برهان. وجمه محاسن الاخلاق فكان يصل
 الارحام ويعطف على الضعفاء ولا يود التباغض والتحاسد
 والتقاطع والتباعد. وحفظه لسانه من التحريف في القول
 والاسترسال في الكذب والبهتان. وفصاحته العربية اذ كان
 أفصح الناس لساناً. وأوضحهم بياناً. وأوجزهم كلاماً وأجزلهم
 لفظاً لا تظهر فيه هجنة التكلف ولا فيهقة التعسف. وتصديه
 لأقامة معالم الدين ونوازل الاحكام. حتى أوضح لامته العبادات
 وبين ما يحل ويحرم من المباحات والمحظورات. وفصل الجائز
 والممنوع من الموارث والمعاملات. حتى احتاج لشرعه اليهود

وغيرهم في كثير من الاشياء ولم يحتاج شرعه الى شرع غيره .
 وانتصابه لجهاد الكفار وقد أحاطوا بجهاته وأحدقوا بجنباته .
 وما خص به من الشجاعة والبسالة اذا هجم الليل بظلامه
 والعزم والحزم اذا قامت الحرب على ساقها ووثبت لمقاومته
 الاعداء . وما منحه الحق سبحانه من السخاء والجود .
 وبالاختصار فقد كان (ص) انسان الكمال . وعين الجلال .
 حسبته ثناء الله عليه بعظيم الأخلاق الجامع لأنواع الكمالات
 وامتداحه له في كتابه المبين في قوله (وانك لملئ خلق عظيم)
 لهذا أقول

رسول عليه الله أثني وإنه تسامى كيدرا لثم نورا مذكرا نشا
 اثني خصه المجد الاثيل بفضله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشا)
 وأما غزواته (ص) فقد غزا بنفسه مع أصحابه سبعا
 وعشرين غزوة أهمها (غزوة بدر) الكبرى وكانت في السنة
 الثانية من الهجرة وقد انتصر فيها على كفار قريش مع قلة
 عدد الصحابة وكثرة عدد الكفار ووفرة عُددهم و (غزوة
 أحد) وكانت في السنة الثالثة من الهجرة وقد اشتد الكرب

فيها على المسلمين ورأوا فيها مصائب جمة لمخالفتهم أمر الرسول
 (ص) ولكن كانت العاقبة خيراً (نصر من الله وفتح قريب)
 و (غزوة الأحزاب . أو الخندق) وكانت في السنة الرابعة
 من الهجرة وفيها اجتمعت أحزاب لا تحصى من العرب
 مع كفار قريش فألهم (ص) عمل الخندق حول المدينة .
 وقيل إن الذي أشار عليه بذلك سلمان الفارسي . وبه
 صدت الكفار عن الدخول في المدينة فوضعوا خيامهم على
 مقربة من الخندق وصاروا يحاربون . فقتل على بن أبي طالب
 كرم الله وجهه عمرو بن عبدود وكان أعظمهم قوة وبطشاً .
 ففرغت لموته تلك الكفار وزاد فزعهم أن هبت عليهم ريح
 عاصف . قوضت خيامهم وجعلت أعمالهم هباء . ووقع بينهم
 الخلف والشقاق فهجم المسلمون عليهم ففروا من أمامهم هاربين
 بعد ما قتل منهم العدد العظيم و (غزوة خيبر) وكانت في
 السنة السابعة من الهجرة (وخيبر) مدينة في الشمال الشرقي
 للمدينة . ففتح المسلمون حصونها وانتصروا نصراً مبيناً على
 من فيها من اليهود . وفي هذه السنة أيضاً أرسل النبي (ص)

الى الملوك يدعوهم الى الاسلام . فبهم من أسلم . ومنهم من
 وعد . وأرسل الهدايا . ومنهم من لم يجب ومزق الكتاب كل
 ممزق فدبر الله ملكه تدميرا . فأما الذين لبوا الدعوة فبهم
 (هرقل) ملك الرومان الذي بعث اليه بالهدايا الثمينة . وأما
 (كسرى) ملك فارس فلم يجب الدعوة بل مزق الكتاب لذلك
 بدد الله ملكه وجعله غنيمة للمسلمين و (غزوة الفتح) أي فتح
 مكة وكانت في السنة الثامنة . وسببها ان كفار قريش
 نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين الرسول (ص) فسار اليهم
 في عشرة آلاف مقاتل وحاربهم وانتصر عليهم وفتح مكة عنوة
 وكسر الاصنام . وأعلى كلمة الاسلام .

وأما نسبه الشريف (ص) فهو (محمد بن عبد الله) من
 زوجه آمنه بنت وهب الزهرية القرشية (ابن عبد المطلب)
 من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية (ابن هاشم) من زوجه
 سلمى بنت عمرو النجارية (ابن عبد مناف) من زوجه عاتكة
 بنت مرة السلمية (ابن قصي) من زوجه حبي الخزاعية (ابن
 كلاب) من زوجه فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزد شنؤة

(ابن مرة) من زوجه هند بنت سرير من بني فهر (ابن
كعب) من زوجه محشية بنت شيبان من بني فهر أيضا (ابن
لؤي) من زوجه مارية أم كعب من قضاة (ابن غالب)
من زوجه أم لؤي عاتكة بنت يخلد من بني النضر (ابن فهر)
من زوجه أم غالب ليلى بنت الحارث من هذيل (ابن مالك)
من زوجه جندلة بنت عامر من جرهم (ابن النضر) من زوجه
عاتكة بنت عدوان ابن قيس عيلان (ابن كنانة) من زوجه
برة بنت مرة من بني تميم (ابن خزيمة) من زوجه عوانة بنت
معد بن قيس عيلان (ابن مدركة) من زوجه سلمى بنت
أسلم من قضاة (ابن الياس) من زوجه خندف المضروب
بها المثل في الشرف والعفاف (ابن مضر) من زوجه الرباب
بنت جندة بن معد (ابن نزار) من زوجه سودة بنت عك
(ابن معد) من زوجه معانة بنت جوشم من جرهم (ابن
عدنان) . هذا ما اتفقت عليه كلمة العلماء محدثين ومؤرخين
وأما ما فوق ذلك فلم يصح فيه طريق غاية الأمر أنهم
أجمعوا على أن نسبه ينتهي إلى اسماعيل بن إبراهيم أبي العرب

المستعربة عليها وعلى نينا الصلاة والسلام (أقول)
نسب يانع النمار كدوح أزهرت في رياضه الأزهار
صغت فيه القريض عفواً وإنى أنا روض وزهرى الأشعار
آباء طاهرون . وأمّهات طاهرات . لم يزل (ص)
ينتقل من أصلاب أولئك الى أرحام هؤلاء . وكل اجتماع
بين آباء وأمّهات كان شرعياً بحسب الأصول العربية . ولم
ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية . ولا شك أن شرف
النسب وطهارة المولد من شروط النبوة .

﴿ تمة الباب . حكمة الشعر . في امتداح الرسول ﴾

رأيت من الفائدة تقيم هذا الباب بذكر (قصيدتي
الهمزية) المدعوة (حكمة الشعر) التي رصمها اليراع في امتداح
ذلك الرسول (ص) — فدونها (قصيدة) تفعل بالقلوب
فعل الصهباء ان لم نقل فعل الهدى بأفئدة المهتدين (قصيدة)
أصبحت بما اشتعلت عليه آية القريض لاحشو يشينها . ولا
ابتدال يحط بها . خلصت والله الحمد مما تمجه الأسماع الطاهرة

وتأباه الأذواق السليمة نحو لفظ . الوري . والملا .
 ونخري . ومفاخرى . من كل لفظ يشوه الشعر ويسقط
 مكانته عند الشعراء . ونحو أعني . وحينئذ . وحقا . من كل
 لفظ مبتذل عشت عليه الفقهاء بالنواجذ . ونحو استشذر .
 وتكأ كأ . واطلخم . من كل لفظ وحشى أو غريب ردى
 الاستعمال . ونحو قد (ولو كانت للتحقيق) وقاطبة . من كل
 لفظ أصبح كمصابتوكا عليها العاجز ولا يمشى بدونها (الضريه)
 وقد قسمناها أقساما وجعلناها من قبيل الخمس هربا من
 السامة . وفرارا من المال . فجاءت بعون الله كما أحب . ويحبه
 كل مخلص ودود . ويمجبنى ماقاله فيها شيخنا العلامة
 (الشيخ محمد بن حيت المطيعي أطال الله بقاءه)

هذه (حكمة) من الشعر جاءت من (سليم) من كل عي وغي
 (سيد) ينظم الدراوى عقودا . خير (مدح) يهدي خير (نبي)



﴿ وهامى بنصها : القسم الأول منها ﴾

مهدّ المجد للرقى العلاء وبني ذروة السرور الصفاء
وتجلى على القلوب الهناء مثلاً أنها تجلت ذكاء
فأنجحت عن سمائها الظلماء

والمعالي سمعت كسمى الجياد لسراة الاصلاح والارشاد
سيما من أطاع خير العباد (أحمد) المصطفى نبي الرشاد
من دعت له لودها العلياء

صفوة الخلق ذوالمقام المفدى من بثوب الكمال قدما تردى
وعلى العرب بالكتاب تحدى فمضى آية الفساد وأودى
بالاعادي وبثت الاعداء

تخذ الصديق منهجا وسبيلا فاتخذ ذناه لارقي دليلا
لترى المجد للنفوس أثيلا راقيا في الوجود جيلا لجيلا
رغم غر تسومه الاغبياء

ذلك المنتقى لنصرة وحي جاء بالصدق لا برائد غي

إِن هذا النبي خير نبي دونه في السموات أي سمي

تصطفيه لأفقهها الجوزاء

(سيد) ساد في العباد علاه وحلا منظراً بديع حلاه

وسما هامة السماك هداه وأضاء الأكوان برق سنه

وسنا البرق دونه الأضواء

لست أهوى سوا ما دمت حيا لا ولا أصطفى لنفسى ميا

أويهي الأديب سعدى وريا وسليحي ولا يود نيا

تعرف الأرض قدره والسما

إن حب الإنسان زيدا وبكرا غير (طه) يقود للنفس شرا

فيرى اليسر في الحقيقة عسرا وغنى النفس أو غنى الكف فقرا

إن يكن ينتمى إليه الذكاء

أنى لا أود غير نبي مدنى جوده بمن ندى

وحباني الوفا وأى وفي همت فيه وأى قرم سخى

عم في الناس فضله والسخاء

غير خير الأنام شرقا وغربا وبني المسكرات عجماء وعربا

من أمد الوغى فرندا وعضبا وأذاق العداة بالسمر ضربا

حينما كان منهم الايذاء

أنا فيه متم غير أني صادق والغرام والله في
كم دواه أخو البسالة عني فتمنى الهوى ونم التمني
في غرام تحبه الاحشاء

كم به أشرقت ربوع الحجاز وبلاد الافرنج والقوقاز
مذ حباها دلائل الاعجاز رغم أنف المشاء واللماز
فتلاشى عن القلوب الغما

أيد الله روحه بالكتاب وبنور الحبى وفصل الخطاب
فرقى في ذهابها والاياب ذروة دونها سماء السحاب
وسماكا سماؤه وضاء

✽ القسم الثاني منها ✽

جاء (جبريل) بالكتاب اليه مسديا آية الثناء عليه
وثناء (الامين) بين يديه في (كتاب) مبين مآلديه
ليس إفسكا وليس فيه مرء

أيمارى (جبريل) وهو أمين وله سيد الانام خدين

أم يماري النبي سفره مكين سره في القلوب سر كمين
هو للداء في الصدور دواء

ليس يدعو إلى اقتناص المحال وانتهاج الإنسان نهج الضلال
إنما قصده نداء الكمال لرجال الأقبال والأجلال
حبذا قصده ونعم النداء

سطرته يد الولاء سطورا أودعت مهجة الطروب سرورا
لا أراني بغيرها مستنيرا أو ألقى لذلك الغير نورا
وبدور السطور فيها الجلاء

ما اتبعنا (القرآن) الا اهتدينا وإلى منتهى (الكمال) رمينا
فاصطقتنا رجاله واصطفينا دولة المكرمات حتى احتظينا
ببني جنوده الأصفياء

حسب تلك الجنود طه انتصارا أنهم أصبحوا به انصارا
وكفى (شاعر النبي) شمارا صوغه بامتداحه الأشعارا
كلما زان منتداه الوفاء

اننى (شاعر الرسول) وحسبى أن أرى مخلصا بذلك لبي
وكفاني من (الهداية) قربى بين قومي من الهداة وصحبي

وكفى أمة العناد العناء

كل شيء سوى الهدى ليس إلا محض إفك على النبي تولى
فاضمحلت قواه رغما وولى عزه مذ جنى الوبال وضلا
عن سبيل تقيمه (الأنبياء)

ودعانا إليه خير (رسول) ليس يدعو إلا لخير سبيل
إن أطمناه كان أولى كفيل برضاء (الرحمن) في أي جيل
وكفانا إذا أطمنا الرضاء

أنا والله لا أطيع سواه إن دعاني ولا أجيب نداه
إن غير (النبي) لست أراه راقيا في الوجود يوما سماه
أو ترقى سماء الزعماء

كيف يرقى الزعيم أفق سماء صرحها لم يزل بديع رواء
ما بنته الآداب أسما بناء سرمدي لا لنيل ارتقاء
لا يضاهيه في المقام ارتقاء

أينا بالرقى يشبه (طه) ويحاكي علاه قدراً وجاها
وهو فوق السماء شمس ضحاها وفقيد العينين أنى يراها
هل ترى الشمس أعين عمياء

بشرت (أمه) الامينة رسل بانتماء الهدى له وهو حمل
والهدى في النفوس مجد وفضل واعتزاز بهواه شيخ وطفل
أوَ لَا تَهْوِي نَهْجَهُ الْعُقَلَاءُ

عن أبيه وأمه والجدود ورت الحزم بين تلك الاسود
فأذاق البغاة ذات الوقود وأنال الاتباع سعد السعود
إنهم باتباعه السعداء

❖ القسم الثالث منها ❖

حدثتنا عن حزمه العزمت وعن العزم تنبيء (الغزوات)
كم أساءت حساده الحسرات وأماقت أعداءه القتلات
يوم قامت بعزمه الهيئات

أغضبوا الله والرسول فكانوا في كروب يستاء منها الجنان
كربة بعد كربة وهوان تلوا ذل يقوده الخسران
وصروف عمادها الأثواء

كيف يلقى الاله باغ وعاصي من رجال الافساد يوم القصاص

يوم أخذتني بتلك النواصي بين دان من العباد وقاصي

هل لدى رائد الفساد حياء

إنني لا أرى لعاصي حياء يستر النفي ثوبه والشقاء

ويزين الفؤاد والاحشاء ليري من ذوى الثناء ثناء

كل عاص من الحياء براء

لست أَرْضَى العصيان طول حياتي حذراً من لهيب يوم المات

يوم ألقى شدة الكسرات في ازدياد وأضلعي في شتات

وفؤادى كأنه الرمضاء

أَوْ أعصى وما جهنم إلا لشقي عصي (الاله) وضلا

أم أجارى البغاة حقداً وغلا لتراي ذوو الفضيلة ذلا

وقديماً تجلني الفضلاء

إن من كان عاصياً أو لثيماً عن قريب يرى عذاباً أليماً

يوم لا تنفع البنون أثيماً لا ولا المال حادثاً أو قديماً

من شكت من صنيعه الفقراء

يوم تكوى الجباه بالنيران وترى العين منتهى الخسران

في جحيم فيها صنوف الهوان وضروب الآلام والاحزان

يوم تجفوا أخذانها الاصدقاء

يوم تنقاد للجنان رجال ليس يعزى لغيرها الاقبال
أبدوا الحق والنبي فنالوا ذروة يرتقي بها الافضال
ومقاما تنى له الآلاء

يوم تطوي السماء والارض طيا ويمد الصراط مـداً سوا
وتنز القلوب مما نهيا للذي كان بالضلال عصيا
من جحيم تصلى بها الأتعاء

يوم لا ينفع الهزبر نجار ورقى أودى به استكبار
وجور تسومه الفجار وشروور تجرها الاشرار
ورياء تشيره الأذياء

يوم حشر الأرواح والاجساد واتقاد النيران في الاكباد
واضطهاد الأنكاس والأوغاد ودعاة الاضلال والافساد
والآثي في قلوبهم بغضاء

يوم تختار من ذويها العقول حينما يقهر العصاة الجليل
فيرى الغر منهمم والذليل ما جناه التفرير والتضليل
من عذاب تجره السفهاء

يوم يربو بطالبيه السرور وبأهل الشرور تزكو السعير
ويحيى المذهب التوقير ويسىء المعاند التفرير
فتحار الامعاء والاحشاء

يوم لا يصطفى لفصل الخطاب غير خير الهداة في المحراب
(أحمد) المنتقى لآى الكتاب بين تلك المصانع الكتاب
من تفانت بمدحه الخطباء



* القسم الرابع منها *

عاندته البغاة بغياً وظلماً حسبما النى في السرائر عما
فمضوا أمره المطاع ولما أن رأى كارت الخطوب ملما
سل فيهم فرنده فاستأوا

ما فرند اليمين الامنونا للآلى قاوموا النى جنونا
تتقيه العداة حيناً فحيناً حذراً منه أن يبد الوتيننا
بجراز تهابه اللاؤاء

كم ألمات العداة بالبيض لما هضموا الحق بالفظاظة هضمنا
إنهم أسرفوا عناداً وظلماً وجنوا ما جنوا ضلالاً وانما

ودماراً من حوله الحوباء

حسبه الله والكتاب امتداحا فلكم أفصحاً به أفصاحا
وكفى شرعه الشريف فلاحا وهدهد سعادة ونجاحا
وكفاه (المعراج والاسراء)

هل رسول سري وبالربل صلى ورأى الله مذ ذنى فتدلى
غير (طه) خدن المقام المعلى من بتداحه قريضى تحلى
فهو عقد وشعري الحسناء

أنا (حسانه) أصوغ الدرارى فيه لكن فى قالب الأشعار
لأراني فى عالم الأحرار مسترق الآراء والأفكار
فتحي قريضى الفصحاء

لست فى غيره أصوغ عقودا تودع اللب سرها المعهودا
إننى لا أرى سرياً وحيداً واماماً عن الهدى لن يحيدا
غير (طه) وهل له نظراء

كم دعانا الى الرشاد الرسول ليماط الفجور والتضليل
وتمنى بأن تكون العقول مشرقات لا يعترىها أفول
كبدور بنورها الاهتداء

حبذا دعوة الرسول الى ما يسترق الاجلال والاكراما
دعوة مهتد اليها السلاما وأقامت بروحها (الاسلاما)
فتسامت بذلك الأرجاء

❦ القسم الخامس منها ❦

إن دين (الاسلام) دين قويم فيه للعالمين فضل عظيم
حسب أبنائه الكرام نعيم وصراط في روضه مستقيم
سلكته الآباء والأبناء
دين رشد دعتة اليه الاماني بلسان البيان والتبيان
فهم وروح الاكرام والاحسان وحياة الفؤاد والجلشان
من سراة نجلها الحكماء

لي وجد بحبه وغرام زاد بي وقعه فزاد الهيام
لا تلامي فليس مثلي يلام ان دعاه لوده (الاسلام)
وانتقته (الشريعة) السمحاء

(بالدين) دستوره (القرآن) فيه مافيه يمنة وأمان
لو تخلى يرده الانسان لاصطفاه النبي والرحمن

ودعته لانسها النبلاء

انني لا أجل (دينا) سواء كيفما سار في الهداة هداة
أو يتقاد للسوى من دعاه (بكتاب) الى الرشاد (اله)

وأناه من الرسول النداء

هل جدير بأن أخالف ربا وأعادي الرسول شرقا وغربا
أو أميت القواد مني حبا في اقرار الذنوب ذنبا فذنبيا
ومن الذنب تولد الا سواء

✽ ختام حكمة الشعر ✽

يا نديا لك المقام الرفيع ورسولا من شأنك التشريع
كن شفيعي فما سواك شفيع ان يكن بالذنوب مناصريع
صرعته الطريقة العوجاء

وسل الله أن يسهل أمري مثما سهل امتداحك شعري
عله أن يميط حنوس عسري فأرى سلسبيل كفي يجري
مثما في الغدير يجري الماء

ضاق صدري وضافت الارض ذرعا

بي فكنت المصاب (عينا وسمعا)

والي الخطوب في الشرق تسمى وخطوب الزمان أعظم وقعا

من مواضع تسلمها الحمقاء

لست أشكو الا الى الله حالي آن حالي وحالة الترحال

أو أشكو لغيره ما جرى لي وسوى الله تحت طي الزوال

يعتريه وان تسامى الفناء

فعمى الله أن يبدد ما بي

من صروف الأحزان والأوصاب

إنها بددت وطيد رحابي بعد ما خلته عزيز الجناب

أو ترضى بأن يلم البلاء

لست ترضى بأن أراني سقيما وأرى الخطب في الفؤاد مقبلا

وأنا المخلص الودود قديما من لدن ما عرفت شخصي فظيما

علمتني وداذك (الآباء)

كم دعيتني الى الوداد (الجدود) فوق ما للصعود يدعو السعود

فأجبت الندي وقومي شهود يظهر الامر يومها المشهود

مثلاً أظهر القريض الولاء

فتقبل اذا سمحت نظاماً أودعته يد (اليراع) انتظاماً

علّمتك القبول يبري الأواماً ويبيد الأمراض والآلاماً

فيزين الجثمان ذاك الشفاء

أنا من مادحيك شعراً وشرّاً ومحبي هداك سرّاً وجهراً

بيد أنى سموت فى لحب قدراً مثل (شعرى) سما سماء أغراً

طلعت فى ربوعه الزهراء

صفت فىك القريض حتى أرانى محرز السبق فى سباق الرهان

أين منى اذا نظمت بن هانى ونظامى حكى عقد الجمان

أتجارى (حسانك) الشعراء

اننى بامتداح فضلك مغرم وقريضى بآيك الفر محكم

كم بتمداحك اللسان ترنم وعليك القواد صلى وسلم

كلما البدء زانه الانتهاء

* *

* *

* *

هذا . ولنا فى المصطفى (ص) عدة قصائد ومقطعات

أظهرها الله فى عالم المطبوعات وما ذلك عليه بعزير (وإنى أقول)

لى فى امتداح (رسول الله) مقدرة
وهل سواى على (تمداحه) اقتدرا
كم صفت فيه بديع (الشعر) مرتبجلا
حتى استرق ارتبجالى البدو والحضرا
ورثت رقتـه عن والد (حسن)
عن جده (الفضل) عن (حسان) عن (مضرا)
لا بدع إن قلت غيرى ليس يدركنى
أيدرك (النجم) فى جنح الدجى (قرا)
وانى أسأل الله تعالى أن يدخلى ومن أحب فى شفاعته
(ص) انه على ما يشاء قدير

❦ خاتمة حكمة الاسلام ❦

غرضى فى هذه الخاتمة التكلم على مواضع مهمة يدعو اليها
الدين الاسلامي (التربية الداخلية والخارجية) لما أنها الدرس
الأول الذى يجب على الانسان أخذه أو المدرسة الأولى التى
ترمي اليها سيرة الآراء ورجال الافلام (والعلم والتعليم) اذ

بهما الوصول الى ما تحبه أرباب النفوس السامية وتطلبه أساطين
الآداب (ووضاع الأحداث الباطلة والأفاصيص الكاذبة
وقارئها وسامعها) وبيان أن ذلك هو أول مانع يحول بين
التقدم وطالبيه . فضلا عما يجلبه من سخط الله تعالى وغضبه .
وابتماد العالين في الأفكار عن يحنح الى مثل ذلك التخريف
ويعمل بمجزئاته وكلياته نحو الاباطيل والأضاليل .. سائلا
الحق سبحانه أن يوفقني واخواني الى ما يحبه ويرضاه . فأقول

﴿ التربية الداخلية والخارجية ﴾

من الدين الاسلامي (التربية) الحقبة التي يودها العمران
وتطلبها النفوس الحية وتشرب اليها أعناق العقلاء . وتنظرها
بعيون الاقبال أبناء البسالة ورجال المعارف . وتلتقطها
سراة الفضيلة ودعاة الاخلاص . لهذا يجب على كل من
أحب الحياة الطيبة والعيش الرغد وأراد أن ينتظم في سلك
المفكرين وأن يكون له القدم الراسخ في ميادين العلوم . واليد
الطولى في كل ما يأخذ به الى أية رتبة عالية . وأي منصب

شريف . والنظر العالى فيما يهذب به النفوس وبمهد ما يراه
 شامخا فى سبيل الرقي . ويسهل ما يصعب عليه فى هذه الحياة .
 أن يودع نفسه تلك التربية التى دعا اليها (الاسلام) فيكون رجلا
 تشير اليه مكارم الاخلاق ببنائها . وتعقد عليه جلائل الامور
 خناصرها . وتنزل فى حبه فرائد الآداب . اذ ما تقدم أحد
 من الناس التقدم المطلوب الذى يحمله كل انسان حيوى ويمظمه
 كل ذى نفس أبية . الا بتعريج ركائبه نحو تلك التربية الاسلامية
 وإناخته فى مستدياتها مطاياها . كيف لا وهي عبارة عن نحو
 تهذيب الاخلاق وتنقيتها من الأدران وتخليصها من سائر
 ما يحيط بالحضارة . وكبح جماح النفس عما يخل بشريف
 العواطف ويزرى بالآثر الشقاء . وتعويد الفكر على ما يجمله
 الآية الكبرى فى نظر العقلاء . والكف على بذل الدينار
 والدرهم على صاحبه أولا ومن يعول ثانياً والمعوز من الناس
 ثالثاً . والأخذ بمعضد المكارم الاخلاقية وبمين المآثر الدينية .
 والسعى وراء نصرة الوطن العزيز . والقيام بواجبات الدين
 ولوازم الهيئة الاجتماعية . والصدق فى القول والثبات فى العمل

والتتوج بتاج المروءة التي يكون بها الانسان انساناً تخضع بين
 يديه أبناء الشهامة وترضخ له أساطين الحكمة وتحية سرارة
 الأفكار . وكما يجب على الانسان ايداعها في نفسه يجب أن
 يودعها في أبناءه وأقرباءه . وبعبارة أعم فيمن يعول أو يعرف
 من أبناء جنسه . لهذا يؤخذ الواحد منا اذا لم يرب ولده
 تربية حقة ترفع شأنه وقدره . وتجمل له في النفوس الحية ذكراً
 على أنه اذا ترك تربيته لا يجد منه الا عقوقاً . به يخالف أمره
 ويكفر نعمته بل ربما يتطاول عليه بالشتم والسب . والقتل
 والضرب . وكثيراً ما شاهدنا مثل هذا من أبناء اليوم الاثلي
 تركتهم الآباء ظهرياً بدون تربية في الصغر فباءوا بسوء
 الاخلاق ورجعوا بفظاظة القلوب حتى خسروا خسراناً
 مميناً وإنى لا أسف ويجدر بي الاسف . مما يفعله الطفل في
 حضرة أبيه مما يخل بالادب ويرجع بالوبال وأبوه ينظره بعينه
 لا يثبت بنبث شفة كأنه جماد أو حيوان غير عاقل ولا يأتي بحركة
 تحول بينه وبين ما يفعل كأنه لا يدبر حراكاً بل ربما يسره ذلك
 ويرضى خاطره وضميره . مع أنه لا يكسبه في المستقبل غير

الشراسة في خلقه . ولئن قلت له لا تدع ولدك يفعل ذلك فإن
 تركك إياه وشأنه يضر بنفسك وسكوتك عليه يسقط مقامك
 عنده أولاً . ويضيع مستقبله ثانياً . بل أدبه وعلمه تقر به عينك
 ويستأنس به قوادك . فلا يسهل إلا أن يقول دعنا من هذا
 وذلك فسوف تؤدبه الليالي وتهذبه الأيام وإني لوأهنته أخاف
 عليه أن يتكدر أو تتكدر أمه (وأمه عزيزة على) أو أن
 مقامه لدى عزيز إذا ليس عندي سواء . ولا شك أن هذا
 هو الطامة الكبرى والمصيبة العظمى . ثم إن من التربية أن
 يلقى كل من (الوالدين) حب الفضيلة في نفس الطفل حتى
 يتعودها في صفره . وتكون له الغاية النهائية في كبره . ويودع
 في قلبه حب الشجاعة فلا يكون في مستقبله جباناً يرهب من
 قارمه ويخاف من لاقاه . وأن يمنعه كل المنع عن مخالطة الساقطين
 من الناس والمعاملة مع من لا تعرف آباؤه حقائق التربية
 ولا واجبات التعليم . والا انطبع في مخيلته ما يأنف منه كل درب
 حاذق تربي تربية أدبية عرف بها نفسه وربّه . وأخص بهذه
 الدعوة الأم . فإنها المدرسة الأولى للأطفال لادارتها شؤونهم

وقيامها بما لهم نحوها من الحقوق (المنزلية) وأضرابها وأحذر
كل والدة تود من صميم فؤادها أن يكون ولدها عاملا
يرحب به وطنه العزيز ودينه القويم من أن تبث في أفكاره
شيأ من الخرافات التي تعودتها (نساء الشرق) حتى أصبحت
أولادهن عبرة لآبناء (الغرب) تلك الامة القائمة على حفظ كيان
المجد . العاملة على توطيد دعائم السعد . بانتهاجها مناهج التربية
الحقة وسلوكها سواء السبيل . . وفي هذا كفاية وسنوفى
الموضوع حقه في غير هذا المختصر



✽ العلم والتعليم ✽

من الدين الاسلامي أيضا (العلم) وهو أجل صفة يمتاز بها
النوع الانساني على غيره من باقي الانواع . بل يكون بها
عظيما عند خالقه مبعجلا في نفوس العقلاء . مهابا في صدور
المتديات معزوز الجانب رفيع المقام . لذلك قال غير واحد .
الانسان لا يعد انسانا الا بعلوماته . ومبتدعاته ومبتكراته
بأدبه . لا بنسبه . بفكره وجده . لا بأبيه وجده . وكفى العالم

رفعة معرفته حقائق نفسه . بين أبناء جنسه فضلا عن
 وقوفه على واجباته وما كلفه الله به من سائر الحقوق وحسبه
 مقاماً أعد له الحق سبحانه من الدرجات العالية يوم القيامة وما
 منحه في هذه الحياة من الامتيازات الانسانية التي يتنافس
 بها المتنافسون . ويسمى وراء الأخذ بأذمتها العاملون . وما
 أمدد به من المواهب حتى أصبح في قومه صاحب سيطرة
 تخضع لها الجبابرة . وقوة تقف دونها الأكاسرة . وما بذره
 في لبه من بذور المعارف حتى أثبتت أشجاراً يستظل بظلها
 من أراد الاستظلال . ويحني ثمارها اليانعة من أراد جني الثمار
 وبالجمل فالعالم أجل انسان خصه الله بهباته . ومنحه آياته
 (نبراس) يستضيء الخاص والعام بنوره كما نستضيء في
 الظلمات بالبدور (وآية) يهدي بها الله من شاء له الهداية وساق
 اليه التوفيق . ينبئك بذلك (كتاب الله) وسنة رسوله الأمين
 ولولا خوف الملل لذكرت لك في فضل العلم والعلماء من الآيات
 والأحاديث وما سطره المؤرخون عن السلف من القصائد
 والأمثال . مالا يحصيه كاتب أديب . ومنه (التعليم) أيضا

اذ هو السبب الوحيد في الحصول على العلم والوصول اليه .
 ولولاه لما كان للعلوم انتشار بين أفراد الأمة المتمدنة .
 وليكن في علمك أن من المحتم أدبا ودينا على من أراد أن
 يعلم غيره أي علم من العلوم . أن يتعلم طرق التعليم قبل
 الاخذ فيه وأن يكون كالطبيب يصف الدواء على قدر الداء .
 والا جنى على العلم جنائيات لا تمنحها الدهور . وحمل نفسه
 أوصابا لا تجده من كوارثها الأيام . وأضر بالمتعلم وباء بغضب
 من الله — ومن الأسف أن بعض (معلمي) اليوم في
 (المدارس والمساجد) لا يسلك طرق التعليم الأحق كأنه
 ماعرفها ولا وقف على شيء منها — يأتي للمتعليم الضعيف بأشياء
 تكاد أن تكون (طلاس سحر) أو (خطوط جفر) تحار
 بها الكبار . فضلا عن الصغار . واني لا إخال المتعلم بين أيدي
 القاصرين في فنون التعليم الا صيدا تنرش في لجة الذئاب . أو
 انسانا تقلبه على حجر البوار زبانية المذاب — ولقد مررت في
 بعض (معاهد العلم) على رجل يعلم صفارا شرح الكفراوى
 وهو يقول في تعليمه . (اعلموا أن أوجه البسملة تسعة على

رأي الشارح وقد أوصلها بعضهم الى ما ينون عن ألف
 وسند كرها لكم بالتحقيق بعد ما بين معنى الباء الاصلية
 والزائدة وما قاله المحققون في اضافة اسم الى لفظ الجلالة) مع أن
 صفارته في غاية القصور . ومررت على آخر يقرأ (السنوسية)
 لأطفال ما شموا رائحة التوحيد وهو يقول لهم (يجب عليكم
 أولا أن تعرفوا معنى أل واللام في قوله الحمد لله ومعنى الحمد
 والشكر والمدح اللغوي والاصطلاحي والنسب التي بين كل
 منها وانين لكم ذلك فنقول الخ) وأطفاله يسخطون على العلم
 تارة وعلى حضرته أخرى . ولقد سمعت بعضهم يقول لبعض
 (نقل الحجة في الظهيرة على الظهر أحب الي من هذا
 العذاب الأليم) — فانظر ناشدتك الله الى هؤلاء المعلمين
 وتلك الأطفال الساخطة على العلوم وذلك التعليم العقيم . هل
 يرجى لأطفالنا والحالة كذلك تقدم يأخذ بهم من حضيض
 الذل الى سماء العز . أظن أنه لا يمكن ذلك الا اذا توطدت
 أصول التعليم وتمهدت قوانين التدريس والا فلا تقدم ولا
 ارتقاء . وسنغطي المقام حقه في غير هذا الكتاب .

* وضاع الا كاذيب وقارثوا الا قاصيص وسامعوها *
 موضوعنا الآن يتعلق بثلاثة ممن يظنون أنهم يحسنون صنعا
 وضاع الأحاديث الكاذبة التي تخجل العاقل الأديب والباطيل
 المشوهة وجوه الآداب . وقارثي الا قاصيص التي ما أنزل الله
 بها من سلطان . وسامعي الأضاليل الذين أضاعوا بسماعها
 الوقت أدراج الرياح . ولتسكلم مع كل فرداً فرداً موجزين
 في القول فنعول أيها الواضع على لسان النبي أبا طيلىك التي تبرا
 منها الحقيقة براءة السليم من المرض انظر معي مليا بعين
 بصيرتك ان كانت لك بصيرة الى ما تنبي عنه (آى الذكر
 الحكيم) وأحاديث الرسول الا كرم فيمن تصدى للا كاذيب
 لاسيما قوله تعالى (ألا لعنة الله على الكاذبين) وقوله عليه
 الصلاة والسلام (من كذب على عامداً متعمداً فليتبوء
 مقعده من النار) تدرك حقيقة نفسك وما يؤول اليه أمرك
 من الطرد من رحمة الله والالقاء فى النار . وقل لى ناشتدك
 الله والمروءة ماذا تقصد بأحاديثك وأباطيلك أتقصد حث
 الناس على العمل الصالح . أم تريد أن يتبعك الغاوون فى

بدعتك السيئة وسنتك العوجاء فان قصدت الأول ففي
 القرآن الذي مفرط الله فيه من شيء وصحيح السنة التي جاء بها
 النبي الأمين . ما يغني عما أنت عليه من الضلال المبين . نعم
 لو كانا والعياذ بالله غير تأمين لكان الكل ان لم نقل الاغلب
 مفتقراً لصنعك افتقار الظمان للماء . محتاجاً لوضعك احتياج
 المريض للدواء . ولكن والله الحمد لا ينكر كمال الكتاب أعمى
 فضلاً عن بصير . ولا يجهل تمام السنة جاهل فضلاً عن عاقل
 خبير . وان أردت الثاني فهذا صنيع المضطهد المرذول والساقط
 المبتذل فدع نفسك من ذلك وخذ بها الى سواء السبيل
 والافاستعد للعذاب . وتهيا للعقاب . وأنت أيها المتصدي لقراءة
 أو تأليف الاقاويص الباطلة والاكاذيب الاسرائيية على
 مسمع الكثير من الناس لاتظن أنك تحسن صنعا . أو يجدي
 عملك نفعا . انما أنت نجني على الحضارة وتقضي على الفضيلة اذ
 كثيراً ما يفر من عملك هذا من أودعه الله المعارف فرار
 الصحيح من الأجر ب . أو العالم من الجهول . وإني لا أرى
 صنعك هذا إلا صنيع من لا يبالي بما يصنع وعملك عمل من

لا يميز الفث من الثمين والكذب من الصدق والخطأ من
الصواب . ولا بدع إذا قلت عمل من لا يخاف العقاب .
ولا يرهب سيطرة الله تعالى يوم يقوم الحساب . أو من
يرضى اللعنة لنفسه ويود أن يتبوء مقعده من النار . نخل
نفسك من النوى وأترك ما وضعه الوضع في مثل شأن (الجنة
والنار) وفضل (الشهور والفواكه وسائر المطاعم بمضها على بعض)
وشأن (الليالي والأيام كليلة النصف من شعبان ويوم عاشوراء)
من الأحاديث التي ما تفوه بها الرسول ككثير من أحاديث
(الروض الفائق) و (المستظرف) و (نزهة المجالس)
و (تنبيه الغافلين) و (درة الواعظين) و (قراءة الميعاد)
و (خريدة العجائب) و (بعض كتب السير) وغير ذلك مما
تداولته أيدي الكبار والصغار واضرب وراء ظهرك بما في
بعض كتب التفسير (كالتحازن والخطيب) وكتب التاريخ
(كأنس الجليل) في تاريخ القدس والخليل (وفتوح الشام)
المنسوب كذباً للواقدي . من الأقاصيص والحكايات
والخرافات والتراهات فإن الاشتغال بمثل هذه الباطيل

وترك كتاب الله تعالى طهيراً . وجعل صحيح السنة نسياً منسياً
 مما تأنف منه العقلاء . فمالك والاشتغال بها . أتأمل أن تعتقد
 العوام بك العلم والادراك إذا أشغلت نفسك بذلك . أو ترجو
 أن يظنوا بك الصلاح إذا كذبت على نبيك وقلت قال (من فعل
 كذا وكذا وقام بكذا وكذا غفر الله له ألف ألف ذنب من الكبائر
 وبني له ألف ألف قصر في الجنة وخلق من فيه ألف ألف ملك
 يسبحون ويكبرون له الى يوم القيامة) ونحو ذلك مما يتبرأ
 منه النبي عليه السلام كما تبرأ الذئب من دم ابن يعقوب . أم
 تريد مجرد اللقاء الوعظ . فان أملت الاول ورجوت الثاني فما
 قريب بضيع أملك ويخيب رجالك . لما أن العصر عصر علوم لا
 عصر جهالة وخمول والزمن زمن مخترعات ومكتشفات لازم
 نمويه وتضليل . وان أردت الثالث فحكمة الله البالغة وكتابه
 الاحق وسنة رسوله الامين فيها ما يغني عن الكذب والتخريف
 كما قلنا . . وأنت أيها المضيع زمنك سدى في سماعك من يخطب
 خبط عشواء تارة وبخرف في القول أخرى لقد ضيعت ثمين
 وقتك فيما لا يجلب لك سوى الهوان . ولا يرجع عليك بغير

الخسران . أترضي أن تكون آذانا مصغية لموضوعات تؤلم
 الاحساس الشريف وقلوبا واعية لخرافات تجرح العواطف
 الشريفة أظن أنك لا ترضى بذلك الا اذا جهلت الحقيقة .
 ولكن عليك أن تسأل رجال العلوم والمعارف اذا كنت غير
 عارف (بالموضوع) من غيره (والتمويه) مما عداه . حيث ان الجهل
 لا يمد عذرا في دارنا هذه (دار الآداب والاسلام) والعلماء فيها
 ولله الحمد أكثر من أن تعد . فسل عن دينك أبناء ورقيك أخدانه
 ولولم يكونوا معززي الجانب بثروة المال وجاه القوة والبطش
 تكن انسانا ترحب بك الفضيلة والا حرمت السعادات
 وكنت كما توده لك الاعداء : هذا وأمل من أمثال هؤلاء
 ومن انتهج مناهجهم أن يريحوا أنفسهم من كلفة التخريف
 والتضليل ليريحوني من أن أسطر فيهم نائيا مثل هذه السطور
 التي تكاد أن تكون سيوفا قاطعة نبسدها أوابد المعاندين
 وأن يقتصروا على ما في الكتاب والا حادith الصحيحة وما نطقت
 به أساطين الحكمة (كلامام البخاري ومسلم) من رجال الحديث
 (والطبري والنسفي) من أرباب التفسير (وابن خلدون وابن

خلكان) من أبناء التاريخ : ثم بعد هذا يقوم الواحد منهم بما فرض عليه نحو أمته ووطنه وأدبه ودينه قياماً تدعو اليه واجبات الاخلاص وتقتضيه مقتضيات قول الله تعالى عز من قائل (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) والحمد لله أولاً وآخراً . تم بعون الله صبيحة يوم الاثنين ١٢ محرم الحرام سنة ١٣٢٥ على يد الفقير الى الله تعالى (سليم أبي الاقبال اليعقوبي) وفقه الله وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه

﴿ تقاريط العلماء الاعلام . حكمة الاسلام ﴾

قال شيخنا (في علوم الأصول والفروع والتوحيد والحديث والتفسير) علامة المعقول والمنقول الشيخ محمد نجيب المطيعي الازهرى لازال محفوظاً . الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد فقد اطلعت على (مؤلف) الاستاذ (اليعقوبي) المسمى (حكمة الاسلام) فوجدته قد اشتمل على ما ينفع الامة الاسلامية في أصول الدين والآداب ومكارم الاخلاق ولقد سلك به صاحبه (أبو الاقبال)

مسلكاً حسناً لاسيما في قصيدته النبوية المسماة (حكمة الشعر)
 التي تشرفت بشرف الممدوح واني أقول فيها
 هذه (حكمة) من الشعر جات من (سليم) من كل عى وغى
 (سيد) ينظم الدراري عقوداً خير مدح يهدى لخير (نبي)
 صلى الله عليه وسلم أولاً وآخرأ وجه لنا من أتباعه باطنأ وظاهراً
 كتبه محمد بن خيت المطيمي الحنفي بالازهر

وقال شيخنا في (علوم المنطق وأصول الشافعية) العلامة
 الأوحد الشيخ محمد ماضى الرخاوى الازهرى أدامه الله -
 بسمك اللهم ألتمس افادة نذاك . وبحمدك وشكرك أستلم افاضة
 نذاك وبالصلاة والسلام على نبيك استمطر وابل هداك . وبعد
 فان أولى ما يعتنى به العلماء . ويبحث اليه الاذكياء . إقامة
 عماد الدين ببيان الحجج والبراهين حتى يدحض الحق صولة
 الاعداء . وبزيل دواء العلم كل داء . فلا يكون لعدو صولة . ولا
 لغبي فى سبيل الحق جولة . وهذه (حكمة الاسلام) قد كشفت
 عن وجوه المعارف اللثام . جادت بها أفكار الفاضل . سلالة

الافاضل . الشيخ (سليم اليعقوبي أبو الافيال) . بلغنا الله واياہ
 جميع الآمال . ولقد سرحت نظري في رياضہ . وأجأت الفكر
 في ذلال حياضہ . فوجدته ذاقطوف دانيہ . وسلسبيل كؤوسہ
 صافيه . مثله فليعمل العاملون . وليحذ حذو مؤلفه المحصلون
 وفقنا الله واياہ لما يرضاه محمد ماضى الرخاوى الازهرى

وقال حضرة الاستاذ الشيخ على سرور الزنكلوني الازهرى
 أيها الاستاذ اللوذعي صاحب كتاب (حكمة الاسلام)
 قد اطلعت على كتابك الجامع وسفرك البالغ فاذا هو جنة
 عالية قطوفها دانية تؤني أكلا كل حين باذن ربها أو سفينة
 نوح فيها من كل زوجين اثنين ولقد أدهشني أمره وبهرني
 صنعه وخيل لي حين يمت مطالبه أنت (شباب الاسلام)
 قد عاد واني أمارس كتابا بقلم جليل من أجلاء الصدر الاول
 والامس أذواق الفصحاء والعرب العرباء فقد أدركت منه
 روحا تمثل لتلك الارواح الطاهرة والنفوس العاليه وأني لك
 هذا (أيها الاستاذ اليعقوبي) وأنت ممن أشرقت عليهم
 شمس القرن الرابع عشر الذي كثرت فيه الاحلام وراجت

فيه بضاعة الاوهام ولولا أني من أهل السنة والجماعة لقلت
 بتناسخ الارواح وغاية ما أقنعت به نفسي مما رأيته في كتابك
 (السحر الحلال) أنك تجردت فرقت فاستطلعت من عالم
 وراء هذا العالم ما حجب عن غيرك فأودعت فيه ما أودعت من
 الآيات العظيمة ورصعت فيه مارصعت من الجواهر الفردة
 الثمينة . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والعقل ينهض
 بي الى هذا الرأي لان بداية المتأخر نهاية المتقدم . لذلك أيها
 (الجهنم) لا أستطيع أن أنكر الحق في ابداعك هذا الاثر
 الجليل والسفر الجميل وأني لي هذا وقد جمعت فيه من دلائل
 التوحيد وآيات التمجيد ومكارم الاخلاق ما يجعل (ابن سيدنا
 والفارابي وابن رشد) وأمثالهم يأسفون على أسفارهم الضخمة
 وكتبهم المطولة التي حواها كتابك وزاد عليها في قالب رق
 مبناه . وسهل معناه . مع ايجاز العبارة ولطف الاشارة
 ويعدون لك هذا من أجل المعجزات . كل الصيد في جوف
 الفري . نحوت فيه نحو الفلاسفة المتأخرين . وجمعت به مارات
 من آراء المتقدمين . وتجنبت الحشو والتطويل . وباعدت

بينك وبين القال والقال . بل عمدت الى احقاق الحق في ذاته
 وابرازه في ثوب نضر غير مشوه بالمشاغبات والاعتراضات
 خصوصاً في المسائل اللفظية التي كانت هي الضربة القاضية
 في تأخر علوم المسلمين وكانك في كتابك هذا تنبهر عن كشف
 وتحكم بوجدان فنة أبوك في هذا البيان . واني أتمشم في
 اخواني أصحاب دولة العلم أن يعرفوا لك هذا الحق ويقوموا
 لك بالواجب ويجعلوا كتابك خير رفيق لهم بل لو أراد الله
 بمعاهد التعليم خيراً لوفق ولاية الامور لتقرب كتابك فيها فانه
 أنفع كتاب ديني مفيد للمعلم والمتعلم فيما يراه المنصف واني
 أكر ذلك الشكر قياماً بواجبك واستنهاضاً لهمتك . ولا بدع
 فيما أتيت به فانك وارث العلم ومقلب سلمه كما قلبها (أبوك
 وجدك) من قبلك واسأل الله تعالى أن يوفقك للخير وينفع
 بك المسلمين كاتبه على سرور الزنككوني الازهرى
 وقال رب المنشور والمنظوم عزتو محمود بك زكى أيد الله
 به دولة الآداب . اني قد تصفحت في هذه الايام كتابا
 ألفه حضرة الاديب الفاضل . والشاعر النثر . حريرى زمانه

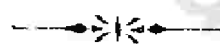
ونادرة عصره وأوانه . الشيخ سليم اليعقوبي المكنى بابي
الاقبال . والبلبل الشاذي بمدح النبي والآل . قد سماه (حكمة
الاسلام) وأودعه من بدائع بيانه . وغرر تبيانه . ما يزدري
بالدر . ويتنافس فيه السحر . وحسبي أن أقول في تقریظه انه
يزيدك لمظه حسنا اذا ما زدته نظرا

أبياته أرق من الشمول . وعباراته تفتن العقول . لا زال
مؤلفه يفترع ابحار المعاني . ولا يروح يتكفل له الثناء بعمر ثاني
ما هدت الورقاء . وحرك طائر جناحيه في السماء
محمود زكي (مدير مجلة الازهر)

ولنجمل ختام التقاريط مسكاً بما تفضل به علينا شيخنا
الوالد إمام المحققين وخاتمة المدققين فضيلة الو الشيخ حسن أفندي
اليعقوبي الازهرى نفع الله به الاسلام والمسلمين وهو
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
(بني) أرسلت الى (حكمتك) فتصفحتها باعمال فكر .
وامعان نظر فوجدتك قد حذوت فيها حذو الحكماء .
ورميت بها الى ما يرمى اليه (القرآن) ويطلبه منك وطنك

العزيز ويكلفك به دينك القديم . وسلكت في ابداعها مسلكا
 دينيا وانتهجت في ترتيبها صراطا سويا . حسبما عودتك عليه في
 (صغرك) وألقيته في آذانك من العظات - ولقد أزلت بمباحثها
 شبهات المبطلين . وبددت بمواضي مطالبها أوابد الممتدين .
 وأزحت بما ضمنها من نواميس العمران وأصول الحضارة
 وقوانين الآداب . دياجير الغياهب . وظلمات المشاغب .
 وحسبك (يا بني) شأنا وشاؤا سميع وراء تعضيد دينك بتحقيق
 مسائله وشرح ما انطوى عليه من الاسرار وبيان ماله نحونا من
 الحقوق والواجبات وهذا من أجل المن التي خصك الله بهادون
 أقرانك . وأعظم المواهب التي وهبك إياها بين أخدامك .
 فاشكر الله على ما أعطى ولا تكن من الجاحدين (بني) أقرظ
 كتابك (حكمة الاسلام) تعضيدا لأعمالك . وتنشيطا لأفكارك
 لما تمهده في من التعضيد لك في صغرك وبت روح النشاط
 في فؤادك السليم - كيف لا وقدقت اليوم بمقامت به (أجدادك)
 فسميت بجذك واجتهادك وراء نشر المعارف وأخذت بنفسك
 الآية نحو القاء الروح الطاهرة في القلوب وغرس الاخلاق

الدينية في الصدور وما صنيعك هذا الا صنيع مخلص لدينه
 الارفع صادق في خدمة وطنه العزيز . . قمت بما يجدد شؤون
 العلوم والمعارف . في هذا الزمن الممقوت الذي راجت فيه
 الاباطيل والبدع . ونمت في نفوس أبنائه الاضاليل . . كما قمت
 بما يجدد أمر هذا الدين دين الحضارة والآداب - والله يبعث
 في كل أمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها -
 كما نطق بذلك بعض الاحاديث . وفقك الله لما يحب وأيدك
 بروح من عنده انه قريب مجيب . والحمد لله أولاً وآخراً
 كاتبه حسن اليعقوبي الازهرى



﴿ استدراك الخطأ المطبعي ﴾

الاولى في صحيفة ٣ صوابها الالى . أزاعوا صحيفة ٨ صوابها أذاعوا
 المروؤة صحيفة ١٥ صوابها المروءة . عشر صحيفة ٣٢ صوابها عشرة .
 لوو صحيفة ٣٥ صوابها ولولم . مؤتر صحيفة ٥٠ صوابها مؤتمر . العلما
 صحيفة ٦٥ صوابها كلاً العلماء . يعرف صحيفة ٧٦ صوابها ليعرف . لحب
 صحيفة ١٥٤ صوابها الحب . ينبت صحيفة ١٥٨ صوابها بنيس . مهابا
 صحيفة ١٦٠ صوابها مهيا (والحمد لله في البدء والختام)